äclw الرسول

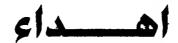
المهندس / زين السماك مؤسس ورئيس المركز الإسلامي لسيدي على السماك بالأسكندرية

# ساعة فسى رحساب الرسيول

المهندس

زين السماك

مؤسس ورئيس المركز الاسلامي لسيدي على السماك بالأسكندرية



إلى الروح الهائمة التى خرجت من عقالها باحثة عن المعانى الراقية فرأت الدنيا على حقيقتها فلم تنشغل بأهوائها وشهواتها، فعاشت فى جسد طاهر يمتلئ بكل عناصر الطهارة والحب والود. انه الدكتور مصطفى كمال عبد الجيد، ذلك الطبيب الذى عرف الحقيقة فألزم حياته بها، وعاش فى ساحة الاسلام عاشقا ومحبا لنبى الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث اعتادت روحه أن تفكر، واعتكف قلبه ليبقى فى حبه، وألزم نفسه لتتخلق بأخلاق نبيها وتأسى بشمائله ورسالته.

وفى الشهور القليلة من نهاية حياته الطيبة، ومع بداية شهر رمضان لسنة ١٤١٥ هجرية، الموافق لشهر فعبراير ١٩٩٥ ميلادية، وفي أثناء ما انتابه من مرض قلبه الضعيف، فقد دعاه قلبه القوى بالايمان والعامر بحب الرسول المنتفى أن أكتب عن الرسول المنتفى المنتفى أن أكتب عن الرسول المنتفى أن ألب المنتفى ألب المنتفى أن ألب المنتفى ألب المنتفى أن ألب المنتفى المنتفى ألب المنتفى المنتفى ألب ا

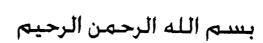
فى بادئ الأمر لطلبه هذا، خاصة وقد كتب من هم أكثر منى علما وبلاغة، فقال بحسم : أنا أريد أن تكتب أنت عنه.

وحيث أننى لم أعتد أن أرفض عملا صالحا أو أقول لا متسرعا، فسلمت أمرى لله، كما نصحنى صديقى الدكتور مصطفى رحمه الله بأن أخدث فى شهر رمضان ومن خلال لياليه المباركة عن الرسول الكرم. فكان ذلك الكتاب الذى دفعنى اليه ودلنى على ذلك الخير هو أخى المرحوم الدكتور مصطفى، والدال على الخير كفاعله.

وأنا أسال القارئ الكرم أن يترحم على هذا الصديق ويقرأ الفاحّة على روحه حتى يتغمده الله برحمته ورضاه وقد أسكنه فسيح جناته وطيب ثراه.

فوداعا لتلك الروح الهائمة وحتى نلتقى وقد تشفع لنا الرسول الكريم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

زين السماك



لقد سعدت أيما سعادة وأنا أقرأ ماكتبه الأخ الفاضل الأستاذ أحمد زين العابدين على السماك عن سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي مزج فيه الرسالة بالرسول، فلا تجد إلا المثل والقدوة لأعظم رسول، أبرزها ووضحها وجعلك تسبح في عالم من الشفافية، جسدها أسلوبه الرائع، فما تملك إلا أن تعلو إلى عالم مثالي ليس في خيال الشعراء والأدباء، وانما على أرض الواقع حيث أسس الرسول العظيم أعظم دولة بأعظم منهاج، وأقام أعظم عدل بأيسر وسيلة.

وبيّن الكاتب كيف أن الأنبياء كلهم على عقيدة واحدة وشريعة امتدت ليكملها صاحب الرسالة الخاتمة التى ازدهرت وأينعت بكل واحد من اخوانه السابقين، ثم زاد ايناعها فأصبحت ثمراً جنيا بفضل ما أوحى اليه من ربه، فاكتملت الرسالات السابقة. ولم يكن هو متلقيا

فحسب وانما كان مطبقا فى نفسه وعلى نفسه، فلم يكن محتاجاً لأن يقول لأنه كان الجسد لكل ما أنزل عليه وماألهم به، ولذلك قال "لقد أوتيت القرآن و مثله معه".

وحينما تقرأ كلام الكاتب لايسعك الا أن تكمله، فلن تستطيع أن تنصرف عنه الا أن تفرغ منه، فهو يجذبك بشدة ويأخذك الى عالم الرسل والرسالات ما تنفصل فيه الرسالة عن الرسول، وانما جدهما متشابكين متلازمين، وهذا هو الصدق المطلق، فلا تتناقض الأقوال مع الأفعال. ومن هنا كان انطلاق دعوته الى كل أرض وفوق كل سماء احساس بالتواصل بين كل الأنبياء والمرسلين وبين صاحب الرسالة الخاتمة محمد هيا الأنبياء والمرسلين وبين صاحب

لقد عرض مبادئ الاسلام وصفات الرسول عرضا شيقا يستهوى كل من يقرأ، وبين كيف أن عبادا من عباد الله اغترفوا من فضل الرسول الكريم فضلا وازدادوا نورا وهداية فهدوا الناس وأحبهم الناس، وأصبحوا نماذج من قدوتهم

الكبرى سيد الأنبياء والمرسلين متأسين به سائرين على نهجه، محققين في أنفسهم مااكتسبوه من هذا المثل الراقى للانسان الكامل.

لقد حبب المؤلف بأسلوبه عن القدوة الناس بعرضه الجميل بأن يكونوا أتباعا مهذبين، وأنا على يقين من أن كل من يقرأ هذا الكتاب سيؤثر فيه ليتأسى بمن أقام على الأرض العدل والرحمة وبمن وصل الأرض بالسماء، ومن جعل كل آية وكل حديث قرآنا وحديثا يتحرك في سلوك البشر الذين اتبعوه وآمنوا بنبوته.

ان امتزاج الرسالة بالرسول فى هذا الكتاب ميـز كاتبه وأعلى قـدره، وجعله منهاجا جـديدا فى التأليف والعرض فجزاه الله عن قـرائه خير الجزاء، وجعله فى ميـزانه وميزان كل من يقـرأه، و ﴿ وَاللَّهُ على من هذه سـيرته وهذا منهـجه ودينه القويم.

عبد *الله عبد ربه بكر* مدير عام منطقة الأسكندرية الأزهرية

۲۶ شوال ۱۶۱۹ هجریه ۱۶ مارس ۱۹۹۱ میلادیه

### بسم الله الرحمن الرحيم تقديم وتعريف

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (علم على آله وصحبه الذين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وعلى جميع من سلك سبيلهم ونهج نهجهم الى يوم يبعثون. وبعد.

فمرة أخرى يعهد الى الأستاذ الفاضل المكرم المهندس أحمد زين العابدين السماك بتقديم وتعريف هذا الكتاب، وذلك بعد أن حظيت بتقديم كتابه السابق (رحلة من أجل العلم). فلم أتردد للحظة في تلبية طلبه لما عهدته في كتابته من صدق العبارة وسمو الفكر وصفاء الروح والتجديد في النهج والحرص على أن تعم الفائدة الجميع.

يبدأ الكتاب بذكر نعمة الله سبحانه وتعالى فى خلق السموات والأرض وتفضله جل وعلا بتزيين السماء بزينة الكواكب وتسخير الأرض بما فيها وماعليها للمخلوق الانسانى الذى فضله وكرمه على سائر مخلوقاته. وكان سيدنا آدم عليه السلام أول خليفة لله على هذه الأرض ومنحه سبحانه من علمه وأسراره "وعلم عادم الأسماء كلها" (البقرة: ٣١).

ثم يبين الكتاب ما من الله سبحانه وتعالى به على نبيه ومصطفاه محمد (عَلَيْكُ) من علوم وأسرار في الأرض

وفى السماء. الأرض وماعليها والسماء ومافيها. فتعلم الرسول الكريم أسرار العلوم التى احتفظت بها الأرض لنفسها، ففيها علوم وأسرار دقيقة أكثر من كنوزها. وعلم السماء يسمو ويرتقى عن كل علم فى الأرض، لأنه العلم بنور الله سبحانه وتعالى.

وأوضح الكاتب أكرمه الله أن رسالة الرسول ﴿ الله في الأرض كانت من أجل السلام الحقيقي، وأن أعداء الانسان هم أعداء الأمن والسلام وهم الذين يسعون في الأرض فسادا، وأنه يجب اجتثاثهم كالحشائش الضارة في الحقول النضرة، وذلك للمحافظة على النباتات النافعة، ليسلم المجتمع البشري بأكمله حيث لم يجد فيهم ولا معهم نصح ولا ارشاد.

ويمضى بنا الكتاب ليشرح مشهد النور ومولد الرسول ويمضى بنا الكتاب ليشرح مشهد النور ومولد الرسول وأليه المتحدثون بكثرة توجهاتهم وأفكارهم، ويخلص كل ذلك في أنه وأليه المرابعة كان أمينا في الأرض وأمينا في السماء، وحيث تتلاقى الفيضائل والمعانى وتتدافع نحو

موكب النور المعبر عن شخص الرسول ﴿ الله وكلُّ الله وكلُّ الله وكلُّ الله وكلُّ الله وكلُّ الأنبياء والمرسلين، فهو الحياة الروحية المتأصلة.

كـما تطرق الكتاب الى العالقة الوطيدة بين معاش الناس على الأرض وبين عبادتهم لله سبحانه وتعالى، وأن الرسول (علله كان يدعو الى خقيق العدالة الاجتماعية والتى كان لها أثر كبير فى تنزل الآيات القرآنية على قلب الرسول الكرم. ولـم ينس فى غـمرة هذا الفـيض موقف الاسلام من المرأة وماحظيت به من اهتمام بالغ فكانت شقيقة الرجل.

واهتم الباحث الكريم بمقامات الرقى الروحى وأوضح الجاهات الرسول ﴿ وَهِلَيْكُ وَتُوجِهَاتُه فَى حياتُه وفي دعوتُه وفي رسالتِه محمِّع بذلك بين عالم الروح وعالم المادة. فحياة الروح تقوم على طهارة القلب وشفافية الروح ونقاء السريرة وأنوار القرب من الله، حتى يتجه إلى رؤية أخرى تعدل من أخلاقياته ومن أسلوب حياته، تلك الأخلاقيات التي تقوم على الصبر والرحمة واللين والطهر

وأوضح الكاتب أننا لو تأسينا بما كان عليه الرسول قدر استطاعتنا لوصلنا الى مرتبة رفيعة وانتقلنا من مقام العبودية إلى مقام الاحسان، فنسعد بالرقل والقرب القريب من الله، لأن الأعمال الظاهرة من عبادة ومعاملة لاتؤتى ثمارها كاملة الا اذا اتسقت وراءها هذه المعانى الباطنة. والتربية الاسلامية في هذا العصر أحوج ماتكون الى هذه الدراسات الروحية.

وطوف بنا الباحث الكريم فى ليلتين كريمتين هما ليلة القدر تنزلت القدر وليلة الإسراء والمعراج. ففى ليلة القدر تنزلت الملائكة بأنواعها ووظائفها وألوانها وأنوارها فأحدثت ابتهاجا وفرحة بين السماء والأرض، استمر كل ذلك حتى مطلع الفجر. انها الليلة الموعودة التى وهبها الله لرسوله ليمنحه من أنواره ومن بركاته ومن رحماته، كما أنها الحافظة للمؤمنين فى كل مكان.

وإذا كانت ليلة القدر تمثيل انعطاف السماء على الأرض ونزول الملائكة من السموات العلا وتنزل أسرار القرآن الكريم على قلب الرسول (عَلِيَّةً )، فإن هذا يدعوه الى زيارة السماء من خلال رحلة الإسراء والمعراج، فهما بحق ليلتان كريمتان في حياته (عَلِيَّةً ).

ثم تتهيأ القلوب المؤمنة لاستقبال حبيب الرحمن ومنقذ الانسانية في المدينة المنورة حيث انتشرت الدعوة ولبست ثوبا جديدا, فجاء نداء الرحمن الندى اللطيف للرسول الكرم "ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا وعبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤ منين بأن لهم من الله فضل كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلً" (الأحزاب: ٤٥ – ٤٨), ليوضح الكاتب أكرمه الله رسالة الرسول هيه عن اجتمع رجال حوله يأخذون عنه ويؤمنون بدعوته ورسالته.

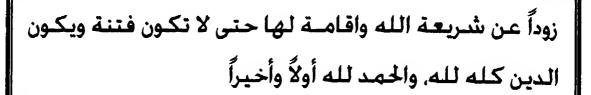
ثم يبين الكاتب في مولف عطاء الله لنبيه من فلقد أعطاه سبحانه وتعالى ما لم يعط أحداً من خلقه، فاشرار إلى عظيم عطائه في هبتين، الأولى في قوله سبحانه وتعالى "ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني سبحانه وتعالى "والقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرءان العظيم"، والأخرى في قوله جل وعلا "إنا أعطيناك الكوثر". ففي هاتين الهبتين بيان لما أعطاه الله لنبيه من خير كثير في الدنيا والآخرة، فقد أوتي القرآن العظيم وأعطى النبوة والدين الحق وأرسل للناس كافة وجعل دينه خاتم الأديان ونهاية الرسالات وجمع فيه بين خيري الدنياو الآخرة، فهذا شرف كبير وفضل عظيم وجاه عريض.

وبعد كل هذا يختتم الباحث بحثه بتألق الرسالة الحمدية من خلال بشرية الرسول ﴿ الله فلم تفارق النبى ﴿ الله فل فل فل فل فل فل فل النبى ﴿ الله وسلامه عليه في حياته أسلوب في الله وسلامه عليه في حياته أسلوب

حضارى يتمشى مع مقتضيات العصر ولم يختلف فى كل مناحى حياته عن طبيعة الجتمع الذى يعايشه ، يشارك فى الأفراح ويواسى فى الأحزان. عاش صلوات الله وسلامه عليه حياته على سجيته وبساطته، وكان دائما ينظر بميزان الحق ويرى رؤية الوضوح ومعه الهامات الله سبحانه وتعالى ووحيه على قلبه فلم يضل ولم يشق. وبعد بعد.

فهذا الكتاب دراسة يضيفها الأستاذ الفاضل أحمد زين العابدين السماك إلى ما سبق أن وفقه الله سبحانه وتعالى من اشراقات والهامات وخواطر ايمانية أمتع بها مريديه ويأبى كرمه إلا أن يسجلها في هذا الكتيب ليعم بها النفع.

أدعو الله أن يجعله خالصا له ويكتب له القبول وأن يكون تذكرة وتبصرة. تذكرة بما يجب أن نكون عليه وتبصرة وتبصرة بالطريق اليه, وزاداً للشباب في طريقه الواضح



۲۶ شــوال ۱۶۱۲

1 مـــارس ١٩٩٦

مصطفى عيد من علماء الأزهر الشريف مدير عام منطقة الأسكندرية الأزهرية السابق

### بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شاءت إرادة الله جلت قدرته أن يشرفنى بكتابة الفيوضات الالهية والالهامات الربانية التى وردت فى هذا الكتاب على لسان شيخى وأستاذى ووالدى الروحى الشيخ زين السماك. كانت هذه الفيوضات وليدة شهر رمضان المبارك لعام ١٤١٥هجرية والتى كان يفيض بها الشيخ زين فى المركز الاسلامى لسيدى على السماك بالأسكندرية أثناء صلاة التراويح أو خلال الجلسات الروحية فى ليالى رمضان المباركة.

وقد نشأت فكرة هذا الكتاب حينما طلب الأخ الفاضل المرحوم الدكتور مصطفى كمال عبد الجيد من الشيخ زين أن يكتب عن الرسول (عَلَيْكُ) ، فقال له الشيخ : ولماذا اخترتنى أنا ، فقال رحمه الله : لأن كتابتك عن الرسول سيكون لها الطعم الروحى الذى خلى به الرسول (عَلَيْكُ) والذى لا يجيده غيرك.

ولم أكن أدرى وأنا أتصدى لكتابة هذه الاشراقات السامية الحديثة العهد بالله على الحاسب الآلى وإعدادها للطباعة بأننى مسير للقيام بهذه المهمة العظيمة. ولقد كنت أحس بتوفيق الله بل أتيقن منه، وكان هذا واضحاً جلياً فى قمسى الشديد واندفاعى القوى لانجاز مهمتى بأسرع ما يمكن. ولعل ذلك كان من يقينى بأن هذا الكتاب ذو قيمة كبيرة فى رفع شأن الاسلام وتوضيح الصورة الحقيقية لما يجب أن يكون عليه المسلم فى حياته ومع ربه. وكشف أغوار الجانب الروحى للدعوة المحمدية الذى هجره الناس منذ زمن طويل.

لقد أحسست فى هذا العمل بالحكمة القائلة "يثاب المرء رغم أنفه" وأدركت بالتجربة العملية التى عشتها أن الأعمال الطيبة، مهما وان صغرت، فان ثوابها عند الله عظيم مصداقا لقول الله تعالى "وندسبونه هينا وهو عند الله عظيم".

طاف بنا الشيخ زين السماك من خلال الفيض الالهى فى عوالم كانت عنا غيبا بل خيالا، ولكن بعدما عشنا فى الأجواء الروحية والتجليات الالهية، أصبح الغيب ظاهراً والخيال حقيقة ويقينا. عشنا مع حبيب الرحمن ومصطفاه ورسوله الى خلقه ومجتباه سيدنا محمد فيها وعلمه من علومها.

كنا قبل أن نعيش في معانى الكتاب نظن أن أدب الرسول هو طيب شمائله الانسانية التي نعرفها، ولكن الشيخ زبن بين لنا أن أدب الرسول ﴿ وَ اللّه كان أدباً علمياً يقوم على ما حباه الله من علوم لدنيّة عن عالم الأرض وعالم السماء. عشنا مع قلب الرسول المرهف الحساس الذي لا يشبهه قلب انساني في هذا الوجود، القلب الذي امتلاً بالرحمة بل هو الرحمة ذاتها حتى على أدق الكائنات. فهو يمشى على الأرض على استحياء وبكل الحرص حتى لا يؤذي عشباً أو نملة، بل ان عينه تدمع وقد يبكي بكاء حاراً

ويستغفر ربه لأنه آذى دون أن يقصد هذه الكائنات. ويستغفر ربه لأنه آذى دون أن يقصد هذه الكائنات. سبحان الله, أى قلب هذا, وأى أخلاق هذه, نعم صدق ربنا العظيم حين قال له "وإنك لعلى خلق عظيم".

طافت أرواحنا بهيام شديد وبفخر واعتزاز مع رسولها الحجوب وهو يمشى على الرمال وبين الجبال والوديان ومن حوله من الخلوقات وكلها تنظر اليه وتأمل فى نظرة منه لأنها تعرف أن الله سبحانه وتعالى دائم النظر اليه، فهى تريد أن خظى بنظرة من حبيب الرحمن حتى يرضى عنها الرحمن.

وكانت فرحتنا عظيمة وسرورنا أعظم وهيامنا أشد وتشرفنا ليس له حدود حينما أخبرنا الكاتب أن رسولنا وحبيبنا وسيدنا محمد هو من حقق الحلم القديم لأرضنا الطيبة الحنون في إعادة لقائها بالسماء بعد غيبة طويلة وتوثيق أواصر الحبة بينهما، حتى وصل الأمر الى أقصى مدى لتوثيق هذا الحب في ليلة لم تشهد ولن تشهد لها الأرض مثيلا، وهي ليلة القدر حيث نالت الأرض تشريفاً

وتقديراً لم ينله أى من أقرانها الكواكب فى كون الله سبحانه وتعالى، فلقد تنزلت السماء بجندها وروحها على قلب ابن الأرض البار الصادق الأمين محمد ﴿ وَالْحِبَةُ لَي سِنتَ قَبِل ضيوفه الكرام بكل الترحاب والمودة والحبة والصفاء، وليبقى فى سلام وطمأنينة طوال ليله وحتى مطلع الفجر، ولتسعد الأرض ومن عليها بهذه الزيارة الكرمة وهذا التشريف والتكرم.

ويزداد شرف الأرض وافتخارها بابنها المصطفى الحبيب حين يتعطف ربها عليها مرة أخرى ويزيد من تكريمها فى شخص حبيبها البار محمد ﴿ وَيَنَّهُ ﴾ حينما يدعوه ربه جل وعلا الى زيارته فى حضرته القدسية لينال شرف القرب القريب، وليكون قاب قوسين أو أدنى، ويحظى بسعادة اللقاء مع رب العزة وعظيم الملك والملكوت. ويتلاقى نور الرسول مع النور الأعظم "نور على نور يهدى من آيات ربه الحبرى، ويبقى الله لنوره من يشاء"، ويرى من آيات ربه الحبرى، ويبقى

بروحه مع حبيبه وخالقه في ليلة ليس لها في العمر مثيل. ليلة لو علمت بحقيقتها الكائنات الجامدة لتحركت ونطقت لتعبر عن فرحتها بهذا الانسان الذي حقق لأرضها تلك الأماني.

لقد عشنا فى هذا الكتاب مع عالم السماء وتنزلات الملائكة وعرفنا ما لم نكن نعرف عن عالم الملائكة وحياتهم ووظائفهم، بل اننى أؤكد يقينا أننا من خلال مصاحبتنا للشيخ زين السماك كنا نحس يقينا بهذه التنزلات الملائكية التى كانت تمسح عن قلوبنا همومها وأحزانها، حتى أننا أحيانا كنا نحس أننا نعيش فى السماء وليس على الأرض.

ولم يكتف الكاتب بأحوال الرسول الروحية بل وضح لنا الطريق الذى نسلكه والمنهاج الذى نسترشد به فى حياتنا من أجل الوصول الى رضا ربنا عز وجل، وأن الانسان اذا ما صدق فى نيته مع الله وأخلص فى عبادته فإن المقامات الروحية المتابعة فى الرقى تنتظره ليصل فى

النهاية الى مقام القرب القريب من ربه الكريم.

ومع هذا الرقى الروحى والسهو الملائكى لرسولنا الكريم لم ينس الكاتب الفاضل أن يشير إلى بشرية الرسول ﴿ الله وكونه إنسانا يعيش حياته العادية، يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ويتزوج النساء ويهتم بزينته ومظهره ويجسد السلوك الانساني بكل متطلباته ولكن في الصورة الطيبة التي يحبها الله سبحانه وتعالى. كما أنه ﴿ الله كان يعيش مع الناس حياتهم يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، يهتم بمشاكلهم ويعمل على حلها والتيسير على المسلمين في أمور دنياهم دون تشدد أو تنطع مع الاستمتاع بالطيب من الرزق وما أحله الله للنسان في حياته.

نعم لقد عشنا مع الشيخ زين السماك فى كتابه هذا فى عالم السمو الروحى، عالم الصفاء والنقاء، عالم الشفافية والطهارة الروحية، العالم الذى يتخلص الانسان فيه من شهوات الدنيا وأطماعها وأحقادها واغوائها، حتى

قققنا من قول أحد الصالحين "نحن فى لذة روحية لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها". هذا هو العالم الذى نريده أن يسود بين بنى الانسان لعل السلام والأمن يعودان الى الأرض, وهذه هى الدعوة المحمدية السمحاء بكل أخلاقياتها وروحانياتها.

نسأل الله العلى القدير أن يديم علينا صحبة أوليائه الصالحين حتى ننهل من علومهم الربانية ونحظى بسعادة القرب من الله، مصداقا لقول الله تعالى "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين ءا منوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الأخرة لا تبحيل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم"، (يونس: ١٢ – ١٤) وكما قال الرسول الكريم "أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله".

ولا يسعنى بعد هذا التقديم إلا أن أتوجه الى الله العلى القدير بالشكر والعرفان بفضله وعظيم عطائه

"رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علّى وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين".(النمل: ١٩).

كما أدعو الله مخلصا أن يبارك فى الشيخ زين السماك ويزيده من علمه ويجمعنا معه دائما على طريق محبته ورضوانه.

- ۲۰ شروال ۱۲۱۲
- ۱۰ مــارس ۱۹۹۱

الأستاذ الدكتور محمد موسى درغام أستاذ بكلية العلوم - جامعة الاسكندرية

#### مقدمــة

لقد أطلت الفتنة برأسها من داخل العالم الاسلامى حينما امتطى الغرور كثرة من الشباب زعمت أنها أكثر تدينا من غيرها، وأصبح الاسلام حكرا على بعض من الناس، وقد دفعهم الاعتقاد الخاطئ الى انهم أكثر اسلاما من غيرهم. وتزاحمت الأحداث في الآونة الأخيرة لما اعتقده هؤلاء الشباب من ضرورة القتل والتصفية الجسدية لكل من يخالفهم في فكرهم وعقيدتهم الخاطئة، بينما الاسلام برئ مما يحدث على الساحة من عنف وارهاب.

وقد رأيت أنه من الضرورى تغيير لغة الخطاب الدينى وضرورة العودة الى روحانيات الدين، وقد فقد الكثير من الناس الشفافية وتلاشت البصيرة وغابت الحكمة، لم يعد للرؤية الصادقة وجود امام عالم تسوده المادة وتتطلع فيه النفوس الى المزيد من الأموال والشهوات وحب الجاه والسلطان. وانسلخ الناس من روحانيات الدعوة وفقدوا مكاشفة القلوب والدعوة المستجابة والصلة

الروحية بالله.

جرّاء ذلك ختم على أن أقدم أسلوبا روحيا لعله يكون منهجا دينيا يخاطب الناس من أعماق قلوبهم وجواهر عقولهم، من أجل مجتمع تسوده الحبة وينتشر فيه الخير ويعمه السلام.

ولقد حرصت كل الحرص الابتعاد عن تيئيس الناس وعن العويل والصراخ وازعاج القائمين بالدعوة وغيرهم، فانسابت كلماتى تداعب النائم حتى يصحو وتنادى على المبتعد حتى يقترب وتبحث عن الغائب حتى يعود.

فليتنا نعود الى روحانية الدعوة ومحبة الرسول ﴿ السَّلَا وَالسَّالِ الطريق والسّاسي بخلقه الكريم وطيب شهائله، وأن أقرب الطريق الى الله هو الحب. ويكفينا ما قاله اعرابي حينما ساله الرسول ﴿ اللَّهِ عَمَا أعده ليوم القيامة؟ فقال لا شيئ إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال الرسول أنت مع من أحببت.

المؤلف

زين السهاك

## الخلافة

" وعد الله الذين ءا هنوا هنكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليجكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليجدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لل يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (النور: ۵۵)

خلق الله الأرض ووضع فيها من علمه وسعته ورزقه. فكانت الجبال والبحار والأنهار وزينت السماء بالكواكب والشموس والنجوم والأقمار وازدهرت الأرض، وألقى اليها الله سبحانه وتعالى بجمال من جماله، وروعة من روعته. ومضت الأرض مع الأيام والسنين وهي خاشعة وخاضعة، متأملة ومفكرة. ومسبحة بذكر الله، وسابحة في فضاء رحمة الله عليها وبركاته كانت الأرض ناظرة إلى جلال نور ربها وفي باطنها دعاء الى الله، فقد اشتاقت الى من يؤنس وحدتها ويملأ فراغها ومشي فوقها ويداعب أسرارها ويتأمل في خلقها، فاستجاب الله سبحانه وتعالى من خلال فجواها ودعواها، ويوم أن استجاب الله للأرض أعد آدم ليكون أول من تطؤها قدماه ومعه حواء المباركة.

وعاش آدم عليه السلام شأنه شأن الملائكة الكرام فى سماء اجتمعت فيها الملائكة. لكن الدعاء كتب عليه أن يكون من سكان الأرض. والله سبحانه وتعالى خلق آدم بحب شديد، ومنحه من علمه وأسراره وروعته وجماله، وميزه على سائر خلقه. وحينما حان موعد الاستجابة، بدأت بوادر الاستعداد عند آدم وكذلك السماء والأرض ليتم هذا الحدث الكبير، ليكون

آدم هو أول مــخلوق من خلـق الله الذيـن يحــملـون فى أصل خلقتهم المعانى والأسرار ومحبة الله وتفضله.

وكلما اشتاقت الأرض لآدم كلما أسرع الموعد لينزل آدم تاركا وراءه جنات النعيم والهامات السماء وجمال الجنة وأنوار الملائكة. كان كل هذا حول آدم في قربة القريب من الله في جنة الله سبحانه وتعالى. واذ بالله يهيئ لآدم الطريق للهبوط من السموات الى الأرض فيجتمع بالملائكة في يوم من الأيام ويقول فيهم: "وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة، قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إنى أعلم مالاتعلمون. وعلم ءادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الدكيم" (البقرة : ٣٠-٣٢). هذا الحدث السهاوي يحدث من خلال قدر الله على آدم بأن ينزل ليكون واجهة الخلافة لله على هذه الأرض، بينما الخليفة الحقيقي هو الرسول (عَلِيهُ) الذي تكتمل به الرسالة وتختتم به العقيدة، وتلك منزلة كبرى.

ولقد خقق ماقالته الملائكة، فيقع من أبناء آدم جرائم وسفك دماء ومشكلات وكل مايعانيه الناس في حياتهم. وكل هذا كان واضحا، وقد علمته الملائكة من علم الله، لترى ماذا يحدث من آدم وذريته على الأرض، والأرض شأنها شأن أمرأة صالحة تلبس ثياب الطهر والعفاف تشتاق الى الولد والذرية وتريد أن خمل وتلد وتأمل أن تتكاثر الذرية عليها وأن تبتلعهم حين يحين موتهم فيعودوا الى ترابها. والأرض المسبحة والعابدة لله سبحانه وتعالى لايغمض لها عين ولاجفن الا اذا وأت وخققت من جلال الله وعظمته، فهي أرض لاتنام وأنوار الله في عينيها، وروحانيته تسع كيانها وما خويه من خلق الله، فهي دائمة النظر الى الله بكل امعان وتقدير.

وتبدأ لغة الحديث والحواربين الله والخلوقات، وكل فى ذكر الله وتسبيحه وعبادته، فكل شئ يسبح لله سبحانه وتعالى "تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا" (الاسراء: ٤٤). فكل مافى الأرض تعظيم وتسبيح وتقديس لله سبحانه وتعالى. فالأرض قد دعت الله، وهى فى نفس الوقت داعية أيضا. ان كل من ينظر اليها ويتأمل جمالها

وعظمتها يدرك جمال الله وعظمته، فهى فى دعاء مستمر وفى دعوة مستمرة حتى تبقى الأرض وخفظ وتقوم بدورها ورسالتها التى خلقها الله سبحانه وتعالى من أجلها.

ونزل آدم الى الأرض ليكون في مقدمة الخلافة لله سبحانه وتعالى. ولكنه ليس كل الخلافة، فقد تناثر البعض من أبناع آدم على هذه الأرض وفي قلب كل منهم بريق ولمعان وصفاء، فهم صفوة من كثرة من الخلق تتألق في عالم الانسانية. والله سبحانه وتعالى يصطفى من هؤلاء ويختار من يستحق أن يكون الخليفة الذي يعقب آدم، فخلافة الله في الأرض ليست اختيارا شعبيا. ومن هذا الجمع القليل كان اختيار الرسل والأنبياء ومن بعدهم أولياء الله الصالحين. فهذا الجمع القليل لم يدخل الى نطاق النبوة والخلافة الا باختيار الله سبحانه وتعالى. فالله وضع في ارواحهم وقلوبهم طهرا من طهره، ونورا من نوره، ووداعة من وداعته، وسرا من سره. ووضع فيهم مايدعوهم اليه، فدعوا الله مخلصين له الدين. فاستجاب لمافيهم من طيبات وأسرار. فالفضل لله في الأولى وفي الثانية، والله سبحانه وتعالى يضع فضله حيث يشاء.

واشتاقت الأرض مرة ثانية بعد هذا الحفل الذي حدث على الأرض بنزول آدم، وبعد هذه الكوكبة من مخلوقات الله التي أنارت الأرض بنورها، فارتقت بفضل رقى أبنائها البررة من الرسل والصالحين. فكلما كثر الصلاح في الأرض كلما تقدمت الأرض وارتقت أكثر وأكثر. فدائما في الأرض رسالة لكل العقول والقلوب والأفكار تقدمها لمن يريد أن يصلح فيها ويعمل على خيرها ويرزق من رزقها. فكلما كثر الصلاح كلما ارتقت الأرض فدعت الله بقلب سليم، فيستجيب لها الله بالبركات وبالرزق والطيبات من أجل هذه القلوب الطيبة التي أصلحت في حياتها, فكانت سببا لاستقرار الأمن ونشر السلام ووفرة الرزق "ولوأن أهل القرس ءا منوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون" (الأعراف: ٩٦).

هكذا كانت العلاقة ومازالت مستمرة بين الأرض الأم والأبناء البررة الذين يعملون الصالحات ويدعون الله سبحانه وتعالى. فلم تعد الأرض وحدها بما اجتمع فيها من جبال وأنهار وماحولها من سموات وشموس وأقصار تدعو وتسبح، بل وأصبح فيها هذا الانسان الذي يبتهل ويدعو الله ليحفظها

ويعطيها البقاء والاستمرار فى دعائها وصلواتها. وماحصلت عليه الأرض من بركات وطهر يدعوها دائما أن تكون طاهرة, فمهما سكب على ترابها من أنهار الدماء، ومهما تشعب فيها من وديان الفساد، فستظل الأرض طاهرة ببركة ربها ولايزال أبناؤها يتوضئون بمياهها ويتطهرون بترابها وهذا من فضل رضوان الله عليها ورحمته وبركاته.

## العلوم والأسرار مستودع الأخلاق

نريد أن نتحدث عن الرسول ﴿ الله المحديث الروحى الذي قَلَّما التفت الناس اليه، بل ذهبوا بعيدا يبحثون عن الفتاوى والأحكام دون الخوض في المعانى الروحية التي تمثل أصل الدين وطبيعته. فحينما نبدأ في هذا الحديث عن الرسول الكريم، نتحدث عن أسرار علمه في الأرض وفي السماء.

علوم الأرض : وعن الأرض تعلم الرسول الكريم أسرار العلوم التى احتفظت بها الأرض لنفسها، فالأرض مدرسة كبيرة فيها من أسرار الله سبحانه وتعالى، وعلى الأرض أبصر الرسول نفسه فرأى علم ربه فيه "وفى أنفسكم أفل تبصرون" (الذاريات: ١١)، فرأى في قلبه نور الله فعرف ربه وحقق من علمه ووحدانيته، وهذه واحدة من علوم الرسول من الأرض. وفي الأرض علوم وأسرار دقيقة أكثر من كنوزها وذهبها وفضتها.

ويتأمل الرسول ﴿ الله في نور الصباح، وينظر الى شهس الله في الكون، ويرى نور الله هو المضئ، وأن الشهس الاتملك شعاعا من نور، فالنور نور الله في شروقها، فهي الاتعدو الا أن تكون مخلوقا مسبحا مثلها مثل كل مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى بيد القدرة. فالذين عبدوا الشمس اكتفوا

برؤية الواقع ووقفوا عند حدود الظاهر فنضلوا طريقهم عن الحقيقة "وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يستدون " (النمل ٢٤٠). فالشهر سي آية من آيات الله دعت الرسول ﴿ الله اليها ويتأملها ويتطلع الى أسرارها بل يستشعر ماتكنه في داخلها من نبض ودفع وحرارة وحب فرأى الحب والوضوح والصراحة والصدق والدقة والنظام والعمل "الرحمن، علم القرءان، خلق الانسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان" (الرحمن: ١-٥). عاينها بقلبه وأقسم عليها بعلمه من خلال ما جلى الله عليه بعلم الكتاب "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك بـه قــبل أن يرتد إليك طرفك" (النمل ٤٠٠)، وعلم القلم "ن والقلم و ما يسطرون" (القلم: ١)، وعلم اللوح الحفوظ "بل هو قرءان مجيد في لوح محفوظ" (البروج: ١١، ١١)، وعلم الغيب "عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا، إلا من ارتضى من رسول" (الجن: ٢٧,٢٦)، وعلم التمكين "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (يوسف ٢١٠) ، وعلم التأويل

"وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته علیک وعلی ءال یعقوب کما آنهما علی أبویک من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم" (يوسف ١٠)، وعلم الكينونة النافذة، وعلم مالا يعلمه أحد غيره "وعلمك سالم تكن تعلم وكأن فضل الله عليك عظيماً " (النساء : ١١٣). وعند ذلك كيشفت الشهس عن أسرارها وقيد كتبت بحروف من نور حول قرصها المضئ وان كشفت الشمس والأرض والكون عن الأسـرار بقوة علم الكتـاب، فإن بلقيس أيضا كشفت عن ساقيها في قصر سليمان عليه السلام متأثرة بقوة على الكتاب "قبيل لها ادخلي الصرح فلها رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قواریر قالت رب إنی ظلمت نفسی واسلمت مع سلیمان لله رب العالمين" (النمل: ٤٤).

وفى السـمـاء رأى رسـول الله ﴿ الله َ الله َ الله وَ الله الله والله الله والله و

تضاءل هذا الخلوق، فللرسول تكوين روحى ربانى، ولقد اصطفاه الله واختاره وخلقه على أرفع ماتكون عليه الدرجات الروحية "رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروحية من عباده" (غافر: ١٥).

فتكوين الرسول الرحى أخذ كل ماجاء مع الرسل من أسرار ومعجزات وكرامات وبينات. فيسمع الكائنات كما كان يسمعها سيدنا سليمان عليه السلام. فحينها ينظر الي مخلوق دقيق أقل من النملة أو أكبر منها كعبشب أو غيره، يستطيع أن يستقرئ ما قويه هذه الخلوقات في داخلها وماتتحدث به وماتخاف منه وتخشاه. وقد جاء ذكر ذلك العلم الروحاني في القرآن الكريم "حستس إذا أتوا على واد النمل قالت نهلة يأيها النهل ادخلوا مساكنكم لإيحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون، فتيسم ضاحكا من قولما وقـال رب أوزعنى أن أشكر نعـمـتك التى أنعــمت علىٌ وعلى والدسُّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالمين" (النمل: ١٨, ١٩).

وكلما اكتشف الرسول الكريم أسرار ربه ازداد خققا وعبودية لخالقه. فعرف الرسول ﴿ الله وعبودية لخالقه عن اكتشافات

الأسرار الأرضية التي كانت حوله، سواء كانت هذه الأسرار في مخلوقات حية أوجماد لاتدرك العين حركته ولايفقه الانسان تسبيحه مثل الجبال " وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فأعلين" (الأنبياء:٧٩)، والرمال "ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجح والدواب وكثير من الناس" (الحج: ١٨)، والرياح والسحاب "ولسليمان الربيع عاصفة نجرس بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين" (الأنبياء: ٨١). فهو لايسمع أصوات الخلوقات وكلمات أدق الكائنات بأذنه ولكن قلبه الرقيق يستطيع أن يسمع كل الهمسات وخفقات القلوب وأحاسيس النباتات والحيوانات، فيعرف الله سبحانه وتعالى مرة أخرى. فمرة مع هذه الخلوقات الدقيقة، ومرة أخرى يسبح لله تعالى مع النباتات الصغيرة التي تخرج من الأرض وحبو عليها لتذكر الله وتسبحه "يسبع لله ما في السموات ومافي الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير" (التغابن:١).

الرسول ﴿ الله الحائنات بكل الكلمات والمعانى والاشراقات

والبركات فأحبته وآمنت به. انها مدرسة النبوة التى استقبلت الرسول الكرم بكل مافيها من علوم وأسرار دفينة لايعلمها الا الله سبحانه وتعالى ومن شاء الله من أهل العلم، فعلم الرسول كالماء الذى نزل من السماء ونبع من الأرض

وعلم السماع يسمو ويرتقى عن كل علم في الأرض، فهو العلم بنور الله سبحانه وتعالى وطبقات السموات النورانية وملائكة السموات وجنات النعيم ومقامات الرقي الروحي حتى سيدرة المنتهي، ومقيام القيرب القيريب من الله سبحانه تعالى "قاب قوسين أو أدنى". فكان للرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ جولات ورحلات مسائية عبر سماء الروح، فإذا مانام جسده الشريف فإن روحه الهائمة لاتنام ولاتغيب عن الله الجيد، فهي كالأرض المسبحة التي لا تغمض لها عين أو يسدل لها جفن، فقيد اعتادت البروح أن تذهب الى الله سبحيانه وتعالى، وكيما جاء في قوله تعالى " قيال إنى ذاهب الى ربى سيهدين " (الصافات: ٩٩). فإن أقامت في السماء فانها تبيت عند ربها يطعمها ويستقيها "لست كهيئتكم فانى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين" (حديث شريف)، فتومن بملكوت السموات وطبقاتها وملائكتها، وتستمع الى حديث السماء

وتعاين الملائكة وتؤمن بها "ءا من الرسول بما أنزل البيه من ربه والمؤ منون كل آمن بالله ومالئكتم وكتبه ورسله" (البقرة: ٢٨٥). فرأى الرسول ﴿ عَيْكُ ﴾ أن السماء أشد خطفاً وأكثر حشدا من الأرض، فعرف طرق السماء أكثر من معرفته بطرق الأرض، فكانت له الفطنة الروحية، فلاينخدع معسول الكلام ولابمظاهر الخداع والنفاق، فهو يرى الحقائق عارية أمامه ليس عليها غطاء يحجب بينه وبين الحقيقة والرؤية الصادقة. فيتعلم الرسول ﴿ الله التعامل لأن الله سبحانه وتعالى أدبه، فلل يكشف غطاء أراد انسان أن يكون ذلك هو غطاءه، فسلاميل الى فسضح عسورات الناس بالرغم من رؤيته لقلوب المنافقين والكاذبين والكافرين وغيرهم وبالرغم ما يتجملون به من مظهر خادع كاذب.

كان الرسول ﴿ الله الله الله الستر وأنّ الانسان كما يريد أن يكون مستورا من الله سبحانه تعالى عليه أن يهب الستر لغيره "ومن ستر مق منا في الدنيا ستره الله في الستر لغيره "ومن ستر مق منا في الدنيا وفي الآخرة". تعلم الرسول من الله سبحانه وتعالى الخلق العظيم، أعطاه الله الأنوار التي تكشف الظلمات، والعيون التي ترى القلوب، والآذان التي تسمع مايجيش في

النفوس، والأدب الذي يمنع افتضاح خائنة الأعين وماتخفي الصدور والقلب المرهف الحساس الذي تتجسد فيه الرؤية والسمع والاحساس في آن واحد، وقد جاء في الحديث القدسي: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ الله الله الله تعالى قال: "من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وماتقرب الى عبدي بشيئ أحب الى مما افترضته عليه ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يهشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه" (رواه البخاري). لقد أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون نبيا متحدثا عن الله وعن وحدانيته وعظمته وجاهه وسلطانه، فكان الاختيار الذي أدى به الى تعلم الأسرار وكنوز المعارف، فتعلم الحلم والتواضع والصدق وكل المعانى الأخلاقية الرائعة.

لم يعد فى نظر الرسول ﴿ الله المسول ﴿ الله المسول ﴿ الله الله عليه من صديق أو عدو، ومن ناحية أخرى فليس بمقدور الانسان أو بارادته أن يخفى مافى قلبه عند أصحاب القلوب النورانية ذات الحساسية والشفافية ومواهب علوم البصيرة والمكاشفة. فكل القلوب

عرايا أمام عيون العارفين، فلا يسترها خداع أو كذب أو تزيين وجّميل، ولن تفلح الوجوه بتزيين غطائها في طمس المعالم والحقائق. ان الله لاينظر الى وجوه الناس ولكنه ينظر الى قلوبهم، وكذا النظرة دائما من القلب والى القلب. فآمن الرسول بما وهبه الله في قلبه وتأثر به المؤمنون فعرفوا الاسلام وعاينوه عن قرب وأداروا الحياة بايمان واقتدار وتلك أخلاق وبركات نبى الله المختار.

## من أجل دعوة روحية لحياة أفضل

لقد كانت رسالة الرسول الكريم ﴿ الله الدعوة الحمدية، الله سبحانه وتعالى. وببركات من الله كانت الدعوة الحمدية، والتى حظيت بعين الله وسمعه وحبه وتوفيقه ونصره. واذا كان الرسول الكريم قد تأدب بأدب النبوة حينما كشف الله سبحانه وتعالى له علوم الأرض وأسرارها، ورأى الخلوقات التى تسبح بحمد الله، فرأى الشمس والقمر والجبال والأشجار والنباتات وكل الموجودات تسبح بحمد الله، وكل منها له حديث خاص ولغة تفاهم.

فبعلم من الله أدرك الرسول الكريم أبعاد الحقيقة ، فنظر الى الحياة فتأثر بما يراه ويعلمه ، وتأدب بالأدب الالهى ، فكان اذا وضع قدمه على حصى فى الأرض أو على عشب أو زرع أو نجيل سمع الكل يسبح لله سبحانه وتعالى ، فكيف يمشى على رقاب المسبحين ؟! . كيف يضع قدمه على القمة النامية لنبات ضئيل وضعيف ؟! . وقد يسمع أنين النبات فتدمع عيناه . ومن الدموع قطرات تتساقط فتسقى النبات وتشفى آلامه وتهدئ من روعه . ويستغفر الرسول ﴿ الرسول الرسول ﴿ الرسول ﴿ الرسول ﴿ الرسول ﴿ الرسول ﴿ الرسول ﴿ الرسول الرسول ﴿ الرسول الرسول الرسول الرسول ﴿ الرسول الرسول الرسول الرسول الرسول الرسول الرسول الرسول اللهم وتلك هى النبوم أكثر من سبعين مرة ولا ذنب . وتلك هى الأحوال الروحية التى تنفق مع مقام النبوة أو الخلافة .

ولقد ضرب القرآن مثلا لذلك فيما كان بين نملة وبين نبى الله سليمان عليه السلام. وما كان عند سليمان ومن قبله داود عليهما السلام، بل وما كان عند الرسل والأنبياء من علوم وأسرار كلها جمعت عند الرسول الكريم سيدنا محمد همية الذي استمد الأدب من علم الله سبحانه وتعالى. وهذا بخلاف الناس الذين يستمدون الآداب من النصائح والتوجيهات وعقاب الوالدين. ولا يمكن المقارنة بين تربيتين، احداهما أبوية والأخرى الهية.

بهذه التربية العلمية والروحية ومعها العناية الالهية رأى الرسول الكرم آفاق دعوته القائمة على التسليم الكامل لإرادة الله ومشيئته، فخضعت حواسه وامكانياته لله وانطبع ذلك على عقله وقلبه ولسانه ويده وماله ودمه. وبذلك أوضحت الدعوة أن العبادة الحقة لا تقتصر على الدعاء والصلاة والصوم والحج فقط، بل تتأكد بالإيمان القوى الذي يدعو إلى انفاق الأموال في سبيل الله، بل يدعو أكثر من ذلك الى التضحية والجهاد ابتغاء مرضاة الله " وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا في ضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض وببسط واليه فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض وببسط واليه

ترجعون " ( البقرة : ١٤٤ – ١٤٥ ) ، وأن المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . والأخلاق الروحية لا تدعو الانسان أن يقدم من ماله أو يكثر من تسبيحه وصلواته فحسب ، بل تدعوه للتضحية في سبيل الله.

وحينما يقدم الانسان صلواته وصومه ومعاملاته ، فكلها في نطاق الأمر المستطاع . ولكن حينما يطلب من الانسان أن يقتل في سبيل الله ، وأن تتبعثر أشلاؤه وتمتص الرمال دماءه في الصحراء ويستجيب ، فلن يقدم على هذا الا من كان مؤمنا قويا صادقا عرف أن الحياة لله سبحانه وتعالى ، وأن المبادئ والقيم هي الازهار اليانعة للأيان، فهان عليه أن يضحي بالمال والولد والنفس لعقيدته الراسخة بأن كل شئ في الحياة ينسب الى ملكية الله " قل إن صلاتي ونسكي و محياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول الهسلمبين " (الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣ ). ولذا كان الرسول الكريم يردد على أسلماع أصحابه في القتال وفي الغزوات قوله " والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل " (رواه مسلم ).

فان كان الجندى المؤمن يود أن يقتل في سبيل الله مرة واحدة فإن الرسول ﴿ عَلِيهُ ﴾ كان يود أن يقتل مرات ومرات ولا يكفيه أن يقتل مرة واحدة ، لأنه ﴿ عَلِي الله الشهيد الذي شهد الله عليه وشهدت عليه الملائكة وشاهد الجنة وأنوارها لن يموت، بل يستمر حيا بروحه عند الله سبحانه وتعالى يتبوأ من الجنة حيث يشاء "ولا نحسبن الذبن قتلوا في سبيل الله أمهاتا بــل أحيــاء عنـد ربهم يـرزقـون ، فـرحين بما ءاتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضــل وأن اللــه لا يضيع أجــر المؤ منين " (آل عمران: ١٦٩ – ١٧١). هكذا كان ايمان الرسول الكريم ﴿ عَيْكَ ﴾ ورؤيته في ضرورة العمل من أجل مرضاة الله ، حتى ولو كلفه ذلك الجهاد أن يقتل وتسال دماؤه.

كان فى تقدير الرسول ﴿ عَلِيه ﴾ ومن أحلامه وتمنياته أن يقتل فى سبيل الله دفاعا عن الخق وعن الانسان ووقوفا ضد الظلم والقهر والعدوان، فلا شيء أسلمي أو أغلى من دين الله سبحانه وتعالى الذي أراده أن يكون في الأرض، لتصبح الحياة جنة خضراء وارفة الظلال لكل انسان وثمرة طيبة وحياة

انسانية كاملة وأخوة متبادلة وحب بنى الانسان لبعضهم البعض، فاذا كانت الوحوش تطعم صغارها والنباتات تتمايل بالحب على بعضها البعض والخلوقات تتبادل المنافع، فلماذا لا يكون الحب متبادلا بين بنى البشر جميعا وقد ميزهم الله سبحانه وتعالى بالعقل والقلب.

فالدعوة لله سبحانه وتعالى لا تزيد الى قدر الله قدرا وانما هى دعوة من أجل البشرية جمعاء حتى تنتهى الآلام ويسعد الناس فى حياتهم ، فقراء وأغنياء ، مرضى وأصحاء ، ضعفاء وأقوياء ، حكاما ومحكومين ، وقد اجتمع الكل فى نطاق دائرة واسعة هى دائرة الدين الذى أراده الله سبحانه وتعالى لكل العالمين دون تخصيص أو أستثناء أو تفرقة . فالدين الواحد لله والأرض للجميع وعلى الناس كلهم أن يعيشوا الحياة الراقية الطيبة السامية التى تضمن العدل والأمن والسلام .

كانت رسالة الرسول ﴿ الله في الأرض من أجل السالم الذين الحقيقي ، ولذا فان أعداء الانسان هم أعداء الأمن والسلام الذين يسعون في الأرض فسادا وذلك لحرمان الانسان من الاستقرار والأمن والعدل وقتل معاني الانسانية السمحاء ودعاوي الحب والالتقاء . ومن أجل هذا ليس لهؤلاء من علاج سوى ما يتبع في

التخلص من النباتات والحسسائش الضارة فى الحقول للمحافظة على كل النباتات النافعة ، وحتى يسلم الجتمع البشرى بأكمله ، لا بد من التحذير والتنوير لمواجهة القوة الشيطانية الغاشمة بقوة روحية تدعو الى ضرورة الابمان بالدين، ومع أهمية ذلك لا ندعوا الى فرضه بالقوة ، اعلاء لانسانية الانسان ، وشخصية الانسان ، واقحاهات الانسان .

فالدين لا يحارب أهل الكفر ولكن يحارب الذين يعتدون على حرمات الله ومقدساته على هذه الأرض ، اذ يقول الله تعالى " إنها جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فيسادا أن يقتتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزس في الدنيبا ولهم في الأخرة عذاب عظيم " ( المائدة : ٣٣ ) . فالله سبحانه وتعالى أمر باحترام مشيئة الانسان في تصرفاته وفي الجاهاته " وقل الحق من ربكم فصمن شاء فليؤ من ومن شاء فليكفر" (الكهف: ٢٩)، ودعوة الاسلام خالية من أي عنف أو قتل أو سيطرة على الناس، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم " لست عليهم بمصيطر" (الغاشية: ١٦). ومع ذلك يضطر الرسول الكريم ﴿ عَلِيكُ ﴾ الى حياة الجهاد لمواجهة القوة المعادية الـتى تريد الفتك بالانسان مشلا فى بنى الاسلام. وهنا لابد من المقاومة، ولا بد من الحفاع عن الشرف وعن الدين وعن الأمانة وعن مستقبل الانسان حتى ولو كلف ذلك تضحية الانسان بحياته فى سبيل الله.

لم يكن القتال مرضا نفسيا في حياة المسلمين ولا تعطشا للدماء ولكنه فرض عليهم لمواجهة هؤلاء الذين يريدون اجهاض الدعوة والاجهاز عليها وتمكين أصحاب الأصنام من قيادة الأرض ووقوع الانسان فريسة للظلم والعدوان والاستغلال.

## روحانيات الدعوة

وتترقب الأرض لحظة بلحظة مشهد النور ومولد الرسول المسول التسعد بنور من الله سبحانه وتعالى تسكن هذا الوليد الجديد على أرض الله المجيد. وتشهد الأرض هذا النور الجديد، وترى فيه الاعداد الالهى لهذا الوليد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.

وحينما يولد الرسول الكرم ﴿ الله عنه المتحدثون عنه المتحدثون بكثرة توجهاتهم وآرائهم وأفكارهم . فمن يرى أن نيران كسرى قد أنطفأت، ومن يرى أن الرسول ﴿ الله في موكبه على الأرض تظله الغمامة ، فقد خدثت القلوب والنفوس كما خدثت الأرض الى نفسها بأنه ولد فيها رسول مقرب من الله سبحانه وتعالى .

وتأدب الرسول ﴿ الله منذ مولده بآداب من الله سبحانه وتعالى ترعاه وغفظه ، فرأى بنور ربه أن الأرض ساجدة لله سبحانه وتعالى ، وأن حبات الرمال تسبح بين يديه ، وأن هذه الخلائق كلها تعبد الله سبحانه وتعالى وأن الكون كله فى انتظام لعبادة الله سبحانه وتعالى . فهذا هو الرسول ﴿ الله في طفولته يرتشف ويتلقى من علوم الله المنعكسة من تراب هذه الأرض . وأى وشاهد

وسمع ، فارتبط كيانه بكل شبر بأرض وكون الحبة وسماء الرحمة ودنيا الانسانية . فدقات قلبه تسبيح وتهليل وتكبير لله سبحانه وتعالى .

هذه هى الطفولة التى رأت وتعلمت وسبحت مع الكون فى سموه وصفائه. رآه الناس ﴿ وَاللَّهِ وَاللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ الأَرْضِ ، فهو الذي لا يخالط أمثاله فى صحبتهم وفى احتفالهم . هو الذي عرف عنه الأمانة المتأصلة منذ طفولته . حتى بعدما خقق الناس بالاسلام قالوا عنه أنه ﴿ وَاللَّهِ لَا السماء . لو خرجت الأمانة تطل برأسها على هذه وأمينا فى السماء . لو خرجت الأمانة تطل برأسها على هذه الأرض لكانت محمدا ﴿ وَاللَّهِ فَي على وجه الأرض ، ولو جاءت الرحمة لتعلن عن نفسها لأختارت أن تتجسد فى خطى الرسول ﴿ وَاللَّهُ ﴾ .

وهكذا تلاقت الفضائل والمعانى الطيبة وتدافعت نحو موكب النور المعبر عن شخص الرسول سيدنا محمد ﴿ الله الله ولو تباهت الأخلاق وأحتشدت بجموعها لأكتشفت أن مكانها هو قلب وحياة رسول الله على هذه الأرض. فلم يكن الرسول ﴿ الله على هذه الأرض. فلم يكن الرسول ﴿ الله على هذه الأرض. فلم يكن الأخلاق هي التي كانت تسعى اليه وتتفاخر بأنها خرجت من مرقدها

لتصطحب الرسول ( الله في الله في الأرض من أجل المعاملة الطيبة والدين السمح ، ويتحقق اللقاء المنتظر مع بنى جنسه من البشر وقد حمل كل أخلاق الصدق والأمانة والطيبة والحلم والرحمة والعدل والانسانية .

وهكذا أتى الرسول ﴿ يَهِ الله مختارا من الله سبحانه وتعالى . وكما تدافعت اليه الأخلاق لتسكن اليه وترتضى لنفسها منزلا قائما في قلبه ﴿ يَهُ الله المسول ﴿ يَهُ الله الله . كان السماء ليكون لها بيت في قلب الرسول ﴿ يَهُ الله الله . كان قلب الرسول منزلا للوحي ومهبطا للأنوار القدسية ، وكيف لا والله أعده ليكون خير خليفة له على هذه الأرض ، وقد هيأ الله الخلافة منذ آدم عليه السلام لتبلغ تمامها وكمالها بالرسالة الخاتمة ، ولتتألق كلمات الله المعبرة عن هذا السمو بقوله تعالى " اليهم أكملت لكم دينكم وأنهمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " (المائدة : ٣) ) . فهو الخليفة المعمد من الله سبحانه وتعالى .

ومن بحر علمه ﴿ الله وسعة أفقه وطيب شمائله وجمال طلعته المشرقة تألقت الخلافة دوما ليرثها من آمنوا بالله وعملوا صالحا كما جاء في قول الله تعالى " وعد الله الذبن

والظلم والكفر.

ويطمئن الرسول ﴿ الله في خلافته ويتطلع بأحواله وتوجهاته ومخاوفه وعواطفه ورغبته وحبه نحو المزيد من شكر الله بقلبه الساجد ولسانه الذاكر، وليرى الله في جمال خلقه وجلال علمه وانتظام كونه. فكل شيء في الحياة يدعوه الى الله سبحانه وتعالى، وبالتالى لن يشقى الرسول ﴿ الله مادام الله معه والقرآن ربيع قلبه " طه، ها أنزلنا عليك القرءان لتشقى، إلا تذكرة لهن يخشى " (طه: ١-٣).

فلم يكن ﴿ الله شقيا بعناد عشيرته وظلم أبناء قريته ، بل كان سعيدا ومطمئنا بارتباطه المستمر بالله سبحانه وتعالى . ولم يجد الشيطان في قلب الرسول ﴿ الله منفذا

فليس بكثير أن تظله السماء وأن تحمله الأرض وأن يمشى على وجهها، وقد شعرت الأرض بعاطفة البنوة والأمومة والحب واللقاء. وتدافعت العواطف كلها لتلتقى مع الرسول والحب والأرض السماء والشمس والقمر والنجوم والبحار حتى الأعشاب أطلت بأوراقها لعلها خظى بنظرة من الرسول الكريم وتدعوه لرعى أغنامه عليها.

فالأرض التى قدمت لغنمه أطيب العشب هى الأرض التى استوقفت سراقة ليغوص فى رمالها يوم أراد أن يقتفى أثر محمد عليه السلام وصاحبه أبى بكر الصديق ويتتبع

خطواتهما وهما فى طريقهما الى المدينة فى رحلة الهجرة، ليقتل الرسول أو يسلمه إلى أعدائه. وتعلم هذا الفارس درسا أنه أمام رسول كريم، ورجع من حيث أتى بعد أن وعده الرسول في الله المسواري كسرى، وتلك حادثة تمثل استجابة الأرض للرسول وانقيادها للاسلام.

إن الرسول ﴿ الله له الجولات الروحية في كل مكان، في عمله، في جارته، في تعبده، في لقائه المستمر بالله سبحانه وتعالى. حينما كان يتسلق جبال مكة ليختلى بنفسه بين يدى الله سبحانه وتعالى، كان يعلم دائما أنه في الصحبة الالهية والرعاية الربانية، في مكان موحش تكثر فيه الثعابين والعقارب، ويعلم أن السم لن يميته لأن رسالته قائمة.

وبهذا الايمان لم يفزع الرسول ﴿ الله الأمر من الأمور فايمانه بالله كان مصدر شجاعته وهدوئه وطمأنينة نفسه. وكل ذلك يدعوه لثباته على مبدئه ودعوته وعقيدته. وكانت رؤيته في الحياة من خلال علمه بالله. ففي وحدته لا يؤنسه إلا علمه بالله سبحانه وتعالى، وقد أحاطه الله بعلمه في خطواته وانتقالاته ونومه ويقظته. فان نام بجسده فان روحه الهائمة تسبح في ملكوت الله لتعود اليه وقد حملت أرق المعاني

وأجمل المشاهد لرحلة عروجها في كل مساء، وبذلك لا يبتعد لا في نومه ولا في يقظته عن علم الله ورحمته وحفظه وتوفيقه.

وكان الرسول ﴿ عَلَيْكَ ﴾ في خنثه وعبادته يلتقي بكل أرواح الأنبياء ويتنذوق من أسرارهم ويعيش مع عواطفهم، فان جاءه من خلال مشاهداته الروحية آدم عليه السلام فهو آدم على الأرض بحاله وعلمه. وكذلك ان جاءه سيدنا ابراهيم عليه السلام فانه هو سيدنا ابراهيم على الأرض ، وان جاءه المسيح فهو المسيح. وهكذا أصبح الرسول ﴿ عَلِيُّهُ ﴾ الكلمة التاملة المعبرة عن كل الرسل والأنبياء، وكلمة الأرض، وكلمة السماء ، وكلمة الرحمة، وكلمة الحب، وكلمة النور. فهو الحياة الروحية المتأصلة التي أرادها لله أن تكون بحراً متسعاً لكل كلماته سبحانه وتعالى "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بهثله مددا " (الكهف : ۱۰۹).

ويمضى الرسول الكريم ﴿ الله في خطواته نحو مكانه المفضل في الغاربين أحضان الجبال للتقرب الى الله سبحانه وتعالى. وبالرغم من أن المكان كان موحشا إلا أنه كان مؤانسا

وآنس الرسول ﴿ الله الطبيعة ، فصوت الطبيعة تسابيح وترانيم وهيام في حب الله رب العالمين، واعتاد الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ اللقاء بهذه الطبيعة المتزجة بروحانيات ملائكة السماء, فتراه يصعد الجبل بصعوبة ومشقة، وسرعان ما تتبدد الصعاب عند أجمل لقاء, فعلى الحب أن يشقى وعلى الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ أن يتحمل هذا الشقاء. فيجب على الانسان أن يتحمل عناء حبه وروعة اشتياقه بين يدى الله سبحانه وتعالى. فليست كل الأمور الصعبة تشقى الحب الذاكر لله سبحانه وتعالى، وأحاديث الله القدسية تناجى هذا الحب وتقول في روعة وجمال "أنا عند ظن عبدى بى إذا ذكرنى في نفسه ذکرته فی نفسی، وإذا ذکرنی فی مل ذکرته فی مل خير منه، وإذا تقرب إلى شبرا تقربت اليه ذراعا، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة".

وعند صفاء الروح واشتباق القلب للقاء من خلال الحضور الروحي وتقلب الوجه في السماء في تطلع للنور الالهي

والحضرة المقدسية، فاذا بالسماء تستجيب وتكاد أن تنخلع من مكانها، ويستشعر الرسول ﴿ الله السماء قد دنت من الأرض، وأن الملائكة قد اقتربوا نحو قلبه، وأن صدره قد انشق ليستقبل أنوار الله وملائكته، فأدرك أن أنوار الله وملائكته قمر ليستقبل أنوار الله وملائكته قمرا واحدا يملأ السماء ليضيئ القلوب. فلم يعد في الحقيقة قمرا واحدا بعد اشراقة قمر الهداية والنور، فقمريهدي الناس الي طرق الأرض وقمر يهدى القلوب الى الله سبحانه وتعالى. فعلم الرسول ﴿ الله الله الما الله وحديث الروح قد الرسول ﴿ الله وبين جبريل عليه السلام ليتلقى خبر السماء ووحى الله وكلامه والهامه، فجبريل في القرب والله في القلب.

انه آذان ببدء الـرسالة، ليخـرج ما فى قلبه من وحى وعلم ومعرفة، وقد حمل جبريل عليه السلام خطاب ربه اليه وعلم ليبدأ ويتحرك ويستقرئ ما فى قلبه ويدعو الى رسالة الاسلام. ومن كلمات جبـريل التى تدعوه أن يخرج على الناس باسم ربه بعد صمت طويل وصـبر جميل خملهـما الرسول وسيد الأربعين. وحين فاجـأه جبريل عليه السلام بقول الله تعالى "اقرأ" علم الرسول وسية الدعوة من بعد سن الأربعين. وحين فاجـأه جبريل عليه السلام بقول الله تعالى "اقرأ" علم الرسول والفطر لتخـرج معـانى الجمـال قـد اقتـربت وأن قلبـه قد زلزل وانفطر لتخـرج معـانى الجمـال

العلمى والأدب الرباني.

ويسبح الرسول ﴿ الله بروحه سبحا طويلا وقد خشعت الروح ساجدة في محراب ربها وتضاءل الجسد، فلم يعد يتحمل التجليات الالهية والتحيات الربانية، وفاض في صدره نهر العلم اللدني حينما خاطبه الله بالعلوم والحقائق التي أكدت له التكليف بالدعوة، فتحقق الرسول ﴿ الله على من ذلك بقول ربه له "خلق الإنسان من على " (العلق : ۱)

وتلك اشارة واضحة تؤكد للرسول الكريم بأن الدعوة قد حانت والرسالة قد أعدت، وما عليه الا البلاغ ليقرأ ما في قلبه "وإنه لتنزيل رب العالهين ، نزل به الحروح الأهين ، على قلبك لتكون من الهنذرين ، بلسان عربى هيين" (الشعراء: ١٩١ – ١٩٥) . وقد أكرمه الله باختياره واصطفائه القديم الأزلى المكتوب بقلم القدرة على كتاب لوح الله المحفوظ "بل هو قرءان هجيد في لوح هجفوظ" (البروج: ٢١)).

ومن هنا يبدأ الرسول ﴿ عَلِيكَ ﴾، وقد ملاً القرآن شغاف قلبه وهداً واطمأن بقول الله تعالى "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم" (العلق: ٣ - ٥). فلم يكن الانسان مهيئا بفكره وعقله ليعلم لغة النمل، ولا حديث

الطير ولا نداءات الرياح، ولا تسبيح الجبال، ولا رؤية ملكوت الله، ولا العروج اليه في كل صلاة. فالقلب وحده هو مهد العلم الالهي والمكان الروحي الذي يسع لطف الله ورحمته، وهو أيضا مستودع لأسرار من الله من بحر علمه وغيبه، فدعوة الرسول في طريق واحد وصراط مستقيم.

وكان الرسول ﴿ الله كاشه عليه عليه وكان الرسول عليه السلام خدوه الطمأنينة بكلمات الله التامات المنزلة على قلبه "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرس ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدس به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدم إلى صراط مستقيم" (الشوري ٥٢٠)، فلا تتلقفها آذان سارقي السمع من الجان فتنتقل آيات القرآن الى مدعى النبوة في كل مكان، وأن وظيفة جبريل تقوم على حـمل رسـالة الوحى من الله الى رسـولـه، وتلك رسـالة خاصة لا يعرفها أو يعلمها أو يفضها سوى الرسول الكريم ﴿ الله الله وأن ما يقوم به جبريل عليه السلام انما يكون من خلال البريد الالهي، وكذلك له وظيفة أخرى وهي تأمين الأرض من شر سارقي السمع حتى لا ينسب القرآن لمدعى النبوة أو الرسالة.

## مقــامــات الرقــى الروحــى

لو حَدثنا عن الجماهات الرسول ﴿ عَلِيهُ ﴾ وتوجهاته في حياته، وفى دعوته،وفى رسالته،لوجىدناه قمية في المقاييس الروحية، وقمة في المقاييس العقلية، فجمع بين عالم الروح وعالم المادة، ومن خلال العالم الروحي الذي يغمض على كثير من الناس،مع أنه شرط هام من شروط الايمان بالله سبحانه وتعالى،أصبح من واجبنا أن نلقى عليه بعضا من الضوء. فعالم الروح يتخذ من القلب كيانا له، وكما كان الرسول ﴿ عَلِي ﴾. وتلك الحياة الروحية تقوم على طهارة القلب،وشفافية الروح،ونقاء السريرة، وأنوار القرب من الله حتى يتجه الانسان من خلال قلبه الى رؤية أخرى تغير من أخلاقياته ومن أسلوب حياته. فهذه الأخلاقيات تقوم على الصبير والرحمة واللين والبطهر والحبة ، وخير ما يستعين به القلب النابض بالايمان هو قول الله تعالى "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستنففر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" (آل عمران : ١٥٩) . فهذه السماحة من التربية الروحية التي جعل الانسان يعفو ويستغفر ويتسامح مع خصومه ومع أعدائه ومع كل من أساء اليه. ولا تستطيع

عقليا أن تلزم انسانا بأن يعفو عمن أصاب عينه بالعمى ولا من كيسرله سنا ، فالعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجسروج قصاص فمن تصدق به فہو کفارہ لہ ومن لم يحكم بها أنزل الله فأولئك هم الظالمون" (المائدة : ٤٥). ولكن حينما يتخطى الانسان احساسه بالآلام وخسائره التي لا تعوض ويتسامح عن طيب خاطر من خالل اشراقة روحية تكشف له خيرية الانسان المتأصلة فيه رغم شروره الظاهرة، وعليه أن يتغاضى عن الإساءة، بل يقابل الاساءة بالاحسان، وتلك هي النزعة الروحية التي كانت تملأ كيان الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ . ولذا من حقنا أن نتأسى بما كان عليه الرسول بقدر استطاعتنا وجهدنا، وتبصرة عيوننا، وتفتح قلوبنا، وتطهر أنفسنا من ماء العلم، والذي توضأ منه الرسول وأفاض على أصحابه، حستى أنه ﴿ الله الله كان يرى أصحابه في طهر دائم لا يتاثر بالأحداث الصغرى ولا الكبرى من تلك التى تؤثر على الطهارة الجسدية. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لقيني رسول الله ﴿ الله على على على من على من على المن المناب ا فذهبت فاغتسلت ثم جئت فقال: أين كنت يا أبا هريرة, قلت: انى كنت جنبا فكرهت أن أجالسك على غير طهارة, قال: سبحان الله ان الهسلم لل بنجس، فالنجاسة الحقة هي عمى القلب وفقدان البصيرة الروحية وانعدام المروءة.

من أجل ذلك أصبح من الضروري أن نرحل الى عالم السمو والطهارة الحقيقية التي حقق للانسان حضوره الدائم ، وعدم تخلف عن لقاء الله ، كما خقق له استجابة الله لندائه ورجائه ودعائه. فهيا بنا نرحل عن شهوات أنفسنا ومن آثام أيادينا وتعكير صفونا، الى حياة روحية لا تغفل فيها العيون ولا القلوب والأفئدة عن مراقبة ربها ، ولا تبتعد الروح عن محبة الله واستعطاف نظره، ليفوز الانسان بنظرة روحية مقدسة تسمو به الى مقام الاحسان. وحينما سئل الرسول ﴿ الله عن مقام الاحسان قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه براك" ، وتلك بعض درجات السمو بمقام الاحسان . فيا أيها الانسان اسجد واقترب وتقلب المقامات الروحية لتتذوق ألطاف الله واحسانه عليك، فأنت في حماية الله طالما كنت في مقام العبودية, وقد كتبك الله ضمن عباده الخلصين.

وهكذا ينتـقل الانسان من مقام العبودية الى مقام الاحسان، ليسعد بالرقى الدائم والقرب القريب من الله سبحانه وتعالى. ولا يزال الناس فى حديثهم يتساءلون فيما بينهم وبين أنفسهم عن الله سبحانه وتعالى، فيهد لهـم الله يد الانقاذ، ويلقى فى روعهم عن كيفية البداية وعن طريق الهداية بقوله تعالى "وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبها لى وليؤ منها بى لعلهم يرشدون" (البقرة: ١٨٦). فعلى الراغب أو المريد أن يعلن عزمه على الاخلاص واسلام الوجه لله سبحانه وتعالى، فالله أقرب اليه من حبل الوريد.

وتلك هى المعانى الحاضرة فى قلب الرسول ﴿ عَلِيْكَ ﴾ العامر بالايمان، وتطلعاته الروحية فى مراقبة الله فى كونه وبخلياته على سلمائه وأرضه من خلال أسلمائه الحسنى، فان بخلى باسلمه اللطيف، فان ملائكة الكون تتزاحم فى الأرض وفى السلماء، بينما المراصد الروحية فى القلوب الواعية تدرك حقيقة اسم الله اللطيف فى التو وفى اللحظة، وذلك ما يعبر عن اسم الله الأعظم الذى لو أقسم الانسان فى حضرته يعبر عن اسم الله الأعظم الذى لو أقسم الانسان فى حضرته القدسية على ميت لقام وسعى، ولله رجال اذا أرادوا اراد الله

، واذا شاءوا شاء الله سبحانه وتعالى، وذلك عند مقام التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى،وانعدام الارادة الجسدية المتمثلة في وساوس النفس وفحيح الشيطان من داخل الانسان، فتعالوا ننظر الى بحر العلم، والى نور السموات والأرض.

### ليلتان في حياة الرسول

#### ليلة القدر

بينما كان الرسول ﴿ عَيْكُ ﴾ في مناجاته لله وتودده لمزيد من رحمته وعفوه ورضاه، واذ بالله سبحانه وتعالى ملأ قلبه بالرحمة ، ونفسه بالطمأنينة ، واذا بعطاء الله وعلمه يتنزل على قلبه الطاهر فيتذوق القلب حلاوة القرب من الله ، وكأن أرواح الرسل والأنبياء قد هبطت على قلبه. ويستوعب القلب معجزات الرسل وأسرار الأنبياء، وكلها من كلمات الله وخزائن كنوزه. وتتهادى الآيات القرآنية مؤكدة على تنزلات السماء بقول الله تعالى "إنا أنزلناه في ليلة القدر" فأصبح القلب مهبطا للتنزلات الالهية ليمتلئ صدر الرسول بعلوم القرآن وحقائقه، وذلك من أقدار الله التي تمثلت في حقيقة القضاء والقدر. وان كانت العلوم والأسرار في قلب الرسول قدرا الهيا فهي أيضا مشابة التقدير الالهي لخاتم الأنبياء والمرسلين. ويتحقق الرسول من قول الله تعالى "إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر". وتتوالى كلمات الله على قلب رسوله حتى أن القرآن الكريم وصف هذه الليلة بقول الله تعالى "ليلة القدر خير من ألف شمر". بينما شهر رمضان

الذي أنزل فيه القرآن هو شهر من أشهر الله ، تلك التي يهتدي فيها المسلم لعبادة الله باقام الصلاة وابتاء الزكاة والصوم الخالص لله. ويتقرب العبد الى ربه ليحظى برضاه وقبول عبادته، فإن تأثير ليلة القدر أكبر من ألف شهر من أشهر الله. من أجل ذلك تنزلت الملائكة من السموات العلا، لتكون وراء كل سرمن أسرار الله المنزلة على قلب رسوله. فوراء كل سرملك، وهذا ما يدعو الملائكة للتهافت على قلبه ﴿ الله المتلوز بأسرار الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم. وأينما كانت الملائكة في حيشدها في السماء فإن هذا الحيشد مثل طبيقة نورانية أو سماء من السموات العلا، فاذا ما تنزلت الملائكة فان السموات تتنزل معها. فتنزلت الملائكة بأمر ربها، وتتنزل بسبب ارتباطها بالأسرار والعلوم الالهية. حينما تتنزل الملائكة انما تتنزل بأنواعها ووظائفها وألوانها وأنوارها وقد التفت حول الروح النورانية، وتلك تفوق أنوار الشمس في سطوعها. وأحدثت التنزلات الملائكية ابتهاجا وفرحة بين السماء والأرض، حتى أنه يصعب التفرقة بين ما هو سماء وما هو أرض. واستمرت الأنوار الملائكية حتى مطلع الفجر ليعيش الرسول ﴿ الله الله هانئة وقد أسلم قلبه لله، وانشرح صدره بأنوار

الله، واطمأنت نفسه الزكية بألطافه سبحانه وتعالى وبركاته ورحمته، ولم تعد النفس ينازعها خوف أو حزن أو يأس بعدما لجأت الى السلام الالهى وقد تجلى الله عليها باسمه السلام، فسلام هى حتى مطلع الفجر.

ووضح عنوان كبير فى الاسلام، انه الاسلام الروحى الذى يؤمن بالغيبيات، ومن لا يؤمن بالغيبيات فقد خرج عن الايمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله، فنقاء القلوب وصفاؤها ورضوان الله عليها يزيح الحجب التى خجب الانسان عن الرؤية الحقيقية، كمن خلق بعيون مبصرة ولكنه لم يعد يرى، ويتعامى عن الرؤية الحقيقية من خلال بصره وعقله، وهكذا أمراض القلوب التى تسيطر على الانسان وتمنعه من رؤية الغيبيات، والتطلع الى الله سبحانه وتعالى، وخقيق الدعوات، وتبادل الأنوار، ونقاء السريرة، وحياة البركة والأمل والنور والايمان القوى بالله سبحانه وتعالى.

هذا هو السلام الذي يفتقده الانسان، فأضاء الله سبحانه وتعالى قلب الرسول وقلوب المؤمنين من بعده بسلام من مصدر السلام في ليلة القدر المباركة التي تعود وتتكرر مع قلوب المؤمنين الحبين لله ولقرآنه العظيم، انها الليلة الطيبة

المباركة التى تدرك الانسان فى قلبه، انها سلام حتى مطلع الفجر، السلام الذى فيه الحياة، وفيه الوقاية والأمن حتى بزوغ الفجر، السلام الذى فيه الحياة، وفيه الوقاية والأمن حتى بزوغ الفجر، الأمل فى ليلة القدر وحتى بنقشع الظلام ويطلع الفجر حتى يعظم الاسلام وتنتشر كلمة الله سبحانه وتعالى فى الآفاق. " سلام هن حتى مطلع الفجر " بظهور الاسلام وانتشاره دوما. فهى الليلة الحارسة، الليلة الحافظة للمؤمنين والمسلمين فى كل مكان حتى مطلع فجر النور والأمل المرتقب فى كل عصر وفى كل زمان وفى كل مكان. انها الليلة الموعودة التى وهبها الله لرسوله ليمنحه من أنواره ومن بركاته ومن رحماته.

### ليلة الاسراء والمعراج

واذا كانت ليلة القدر تمثل انعطاف السحاء على الأرض، ونزول الملائكة من السموات العلا، وتنزل أسرار القرآن على قلب الرسول وينسب أنه فان هذا يدعوه الى زيارة السحاء وتمثيل الأرض عند السحاء . فلولا زيارة السحاء للأرض فى ليلة القدر ، ما كانت زيارة الرسول للسحاء من خلال ليلة الاسراء والمعراج . كانت زيارة الرسول للسحاء من خلال ليلة الاسراء والمعراج . فهما بحق ليلتان فى حياة الرسول والمحاء بقول الروحية فى مسراها على الأرض وسموها الى السماء بقول الله تعالى "سبحان الذى أسرى بعبده ليل من المسجد الحرام الله تعالى " سبحان الذى الركنا حوله لنريه من ءاياتنا إنه إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من ءاياتنا إنه هو السميع البحير " (الاسراء : ۱)

وقد بدأت الآية القرآنية بالتهليل والتكبير والتسبيح لله سبحانه وتعالى . حينما مكن الله نبيه وحبيبه بانطلاقة روحية عبر مسافات الأرض البعيدة ما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، والانطلاقة الروحية من عالم الأرض الى عالم السماء . وتلك هي لغة الروح التي قد لا تستوعبها العقول ، حيث أن المقاييس العقلية يصعب عليها أن تفسر

الروحانيات. ولا يفسر الروحانيات الا المقاييس الروحية التي تسمو فوق كل المقاييس المادية . فإن رحلة الاستراء والمعتراج تؤكد للرسول ﴿ الله الله الله الأرض وستخرج من حيزها الضيق في مكة، وأن حلقة الأيمان ستتسبع لتضم كل القلوب التي أسلمت للرسل والأنبياء من قبل، وتلك هي بصيرة الرسول المطلة على عالم الغيب والمستقبل القريب والبعيد، ولربط رسالة المسجدين في رسالة واحدة شاملة. فان كانت رسالة المسجد الأقصى تتجه نحو بحر الروحانيات المتعانقة بالسلام والحبة من خلال آيات ومعجزات المسيح عليه السلام ، وأيضا رسالة الهداية بعد الضلال والانشهاق والفساد المتمثلة في رسالة سيدنا موسى عليه السلام، والتي أشارت بوضوح الى قومه اليهود الذين اهتدوا بوحي السماء المنزل على أفئدة وقلوب أنبياء بنى اسرائيل، وأن دعوة الاسلام هي دعوة كل الرسل والانبياء وأن الاسلام هو اسلام القلب لله . وبهذا المنطق الواضح دخل الناس جميعا الي الاسكلام ماداموا يؤمنون بالتوراه والانجيل والقرآن.

وللمسجد الأقصى رسالة روحية سامية في الاسلام، ويؤكد ذلك ما جاء به القرآن الكرم في سورتي آل عمران ومرم

بصفة خاصة ، وقد اكتشفنا أن الموقع الروحي للمسجد الأقصى يكمن في آيات القرآن التي تتحدث عن أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين،أمشال سيدنا زكريا ويحي ومريم وعيسى عليهم السلام، وغيرهم من الأسماء اللامعة التي عاشت رسالتها حول المسجد الأقصى والذي بارك الله حوله. وبالبحث والتنقيب في سورة مريم اكتشفنا الآثار الروحية الدالة على الموقع الروحي للمسجد الأقصى ما حتم معه فك الرموز الروحية المتمثلة في أول آية في سورة مريم في قول الله تعالى " كهيعص " . وقد بينت هذه الرموز الاطار الروحي الذي كان حول آل المسجد الأقصى من بني اسرائيل، وقد خصهم الله سبحانه وتعالى بكفايته الخالصة ، حتى أنه لم يعد لآل المسجد الأقصى احتياج لأحد غير الله ، وأن كفاية الله فوق كل كفاية ، هذا ما يرمز له حرف الكاف الذي تقدم في الآيه القرآنية "كهيعص" ، وأن الهاء تمثل استجابة الدعاء، بما وهبه الله سبحانه وتعالى لهم جميعا من هبات روحية ومادية ، فكان حرف الهاء الذي يشير الى هبة الله سبحانه وتعالى ، وأن المدقق يرى أن حرف الياء يشير بكل وضوح الى يسر الله سبحانه وتعالى ، وقد جاء ذلك في قبوله تعالى لمريم

عليها السلام "وهزي إليك بجـذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربي وقرس عينا فإما ترين من البشر أحدا فيقبولي إني نذرت للرحمن صوفيا فلن أكلم البيوم إنسيا" (مرم: ٢٥-٢٦). وتلك اشارة سريعة للوقوف على ما تمتع به أنبياء ورسل بني اسرائيل من يسر واضح، وقد من الله به عليهم من قبل لسيدنا موسى عليه السلام بأن يسر له أمره وأحلل عقدة من لسانه . ويتضح أيضا أن عين الله سبحانه وتعالى كانت حافظة لمريم والمسيح عليهما السلام، وقد خصهما برعايته الواضحة حتى لا يصابا بالأذي أو العدوان، وقد أنثرار حرف العين الى عين الله التي لا تنام ولا تغيفل. ويضى كل ذلك في اطار الصدق الكامل الذي آمنت به مريم، حيث صدقت بكلمات ربها وكتبه، كما صدقها الله فيما كلفها به وغيرها من الأنبياء والمرسلين، وكان حرف الصاد هو المشير للصدق. وهكذا كشف الله سبحانه وتعالى عن الجال الروحي لكل من عاش حول المسجد الأقصى من خلال كفايته وهباته ويسره وبصره وصدقه . وذلك هو المسجد الأقصى الذي كان في عين الرسول وفي قلبه.

وان كانت رسالة المسجد الأقصى هي رسالة الطهارة الروحية، تلك التي رأتها الملائكة في قلب مريم عليها السلام "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطمرك واصطفعاك على نساء العطالمين ، يا محريم اقنتى لربك واسجدي واركعي مع الراكعين " (آل عــمــران :٤٢-٤٧)، ومعجزات المسيح ومن قبله سيدنا موسى عليهما السلام، فان رسالة المسجد الحرام هي رسالة سيدنا ابراهيم المواجهة للأصنام وللفساد، بل هي أيضا رسالة البناع والتشييد فيما قام به سيدنا ابراهيم واسماعيل من رفع قواعد البيت ، وهي أيضا رسالة الهدم لكل الأصنام التي تشيع الظلم والفساد كواجهة للحكام والملوك الذين ألهوا أنفسهم وفرضوا عقائدهم الخاطئة على شعوب الأرض التي يتحكمون فيها، فكانت ليلة الاسراء هي ليلة الرؤية الواضحة للرسول الكرم فى أمر دينه ورسالته، فأيقن الرسول ﴿ الله علم الغيب بأن الاسلام سينتشر وأن ممالك الظلم ستنتهى وتتحطم. وتلك نظرة حقيقية منحها الله لرسوله للاطلاع على غيبه وعلمه، وكذلك من تكريم الله لرسوله ﴿ عَلَيْكُ ﴾ أن يتحقق بالغيب ويتحقق أيضا بالقدر، وأن أقدار

الله سبحانه وتعالى هي طريقه نحو النجاح والفوز والفلاح، وأنه لن تظهر قوة على الأرض تهدد أو تبدد قدرا من أقدار الله سبحانه وتعالى، وذلك هو ايان الرسول الكريم بالقضاء والقدر. تلك هي طبيعة العلوم الالهية في الرؤية والمعرفة وصقل الايمان في لحظات من الزمن، وكيف لا وقلب الرسول ﴿ الله على الله سبحانه وتعالى . ثم يتجلى الله على رسوله الكرم بأن يفتح له أبواب السماء. وأبواب السماء أكبر جامعة روحية في العلم الالهي. ففي كل سلماء ملائكة تعلو أو تتنزل لتـؤكد على الطبـقة النورانيـة المتمـثلة في السـماء الأولى حتى السابعة، وتتحدد السموات بحركة الملائكة، ولكل سماء ملائكة قائمة بعلم ربها وقد كلفها الله باطاعته وعبادته كما كلف الناس بالتكاليف الشرعية.

ونلتقى مع الرسول ﴿ السَّمَاء في رحلته المباركة نحو الاسراء والى العروج لأسرار السماء وينطلق الرسول ﴿ السَّمَاء من عالم الروح الى آفاق قد لا يستوعبها عقل بشرى لكنها تعتمد في استيعابها على تصديق قلبي وايماني ولذلك لن تستخدم المقاييس العقلية فيما يذهب اليه الرسول ﴿ السَّمَا في من رحلة روحية لا تخضع لمواصفات الزمان ولا المكان ولا لتقديرات

الغيب، وعالم الغيب ليس فيه مجال لمقاييس العقل، فالمقاييس الروحية هي التي تستطيع أن ترى وأن تؤمن بعالم الغيب. وجاء أيضا في قول الله تعالى "الم،ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمنتقين، الذين يؤمنون بالغيب" ( البقرة : ١-٣)، فمن الواضح أن الآيات بدأت بغيب في المعرفة، لأن "الم" غيب على العقول المفسرة والمدركة، وأول صفات المؤمنين في مطلع سورة البقرة الايمان بالغيب، فهو الأول في الترتيب. وحينما نفكر في مقاييس الايمان نجد أن أهمها هو الايمان بالغيب، ومن الايمان بالغيب الايمان بالملائكة. ومن أجل حقيقة الايمان فيان الله سيبحيانه وتعيالي أوحى الي السيماء أن تدعيو الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ ليكون في ضيافتها، وعلى الجانب الآخر ليعلم الرسول ﴿ الله السرار السماء كما علم من أسرار الأرض حينما ولد عليها وعاش يحبو على رمالها وترابها، فإن السماء لها حق في است ضافته ورؤيته ومعايشته وليس هناك مستحيل على الله سبحانه وتعالى.

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء السماء، وتفقد الرسول ﴿ مَا الله عالم السماء فوجد ملائكة الرحمة، والملائكة الختصة بفك الكروب، وملائكة الغوث، وكلها جنود مجندة

لخدمة انسان الأرض، أعدها الله سبحانه وتعالى كما أعد ثمار الفاكهة على غصون الأشجار. كانت الأرض قد نبتت منها شجرة تتجه فروعها الى السماء، فرأى الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ من آيات ربه الكبرى في علمه عن السماء وقد علمه شديد القوى وهو بالأفق الأعلى. واستمر الرسول ﴿ الله عَلَيْكُ ﴾ يرى ويشاهد ويلمس ويتحقق ويتأكد ويعلم. والرحلة تستمر في سمو يعلوه سمو وطهارة فوق طهارة ونور على نور وقرب بعد قرب، ويقول الله سبحانه وتعالى عن هذه اللحظة من الرقى "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى " (النجم ، ٨ ، ٩). فعند القرب الشديد من الله سبحانه وتعالى يقول تعالى في القرآن الكريم "فأوحى إلى عبده ما أوحى" (النجم: ١٠). وحينما رأى الرسول ﴿ عَلِيهِ ﴾ هذه السموات بما فيها من روحانيات حققت ما كان يراه وهو في عالم الأرض، وكأن الرؤيا لم تكن جديدة عليه، وهذه الرؤيا كانت مع جده سيدنا ابراهيم حيث يقول الله سبحانه وتعالى "وكذلك نرس إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين" (الأنعام: ٧٥). فسيدنا ابراهيم قد دخل الى مرمى الرسول الروحي في الكيفية وفي التحقق وفي التصديق، وبالتالي فإن الأسرار التي كانت عند

سيدنا ابراهيم في رؤيته لملكوت السهوات والأرض من مكانه على الأرض هي نفس المكانة عند الرسول (عليه حينما كان يرى ملكوت السهوات والأرض وهو في عالمه الأرضى، فإذا ما عرج به الى السهوات العلا فقد رأى ملكوت السهوات من القريب. والفرق بين رؤية سيدنا ابراهيم عليه السلام ورؤية الرسول (عليه هو الفرق بين الثبات والحركة. فسيدنا ابراهيم رأى ملكوت السماء من حال الثبات بينما رأى الرسول ملكوت السماء من حال الخركة.

وهكذا فإن الانسان المؤمن اما أن يذهب الى ما يريد أن يؤمن به من سهوات أو من جنات, واما أن تقترب منه السهوات أو الجنات ليرى منها ما يشاء, وجاء فى القرآن الكريم "ما كذب العقاد ما رأس" (النجم: ١١), فما رآه بالأمس رآه اليوم ولم يكن ضربا من الخيال لكنه كان حقيقة. والحقيقة هى جوهر الايمان بالله سبحانه وتعالى. فعلى أى شئ يمكن أن يمارى فيه الرسول المناك فيه أو يشك فيه أو يظن به, فجاءت الآية لتخاطب الذين تشككوا فى رحلة الرسول (النجم: ١١). أين المقاييس التى "أفتمارونه على هذه الحالة الروحية؟.

لقد دعا الله سبحانه وتعالى رسوله الى مزيد من الرؤية ومزيد من اللقاء "ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة الهنتهى" (النجم: ١٣ – ١٤). فالقرآن يحدد المكان، وكأن أماكن السماء تتماثل مع أماكن الأرض، ففى الأرض جبل عرفات وفى السماء سدرة المنتهى. وعند سدرة المنتهى لم يستطع رفيق الرسول سيدنا جبريل أن يواصل الرحلة الى حيث رحاب الله سبحانه وتعالى، وقال للرسول لو خطوت خطوة واحدة لاحترقت.

ومن هنا نرى أن الجبال تتصدع من الحياة الروحية والأرض تتململ من الحياة الروحية وجبريل عليه السلام لا يتحمل الحياة الروحية، بينما الرسول (المالة) وحده هو الذى يتحمل الحياة الروحية ليقترب أكثر وأكثر من جاه الله سبحانه وتعالى ونوره وسلطانه وعظمته وقوته. وتقدم الرسول (المالة الى رحاب الله، فالطريق الى الله سبحانه وتعالى لا يماثل معابلة ملك عظيم، والطريق المؤدى الى القصور الملكية على جانبيه الحدائق والتماثيل. أما الطريق الى ملك الملك ليس فيه أشجار أو نباتات ولكن على جانبيه الجنات تثير الألباب والقلوب لينظر اليها

كل من يعرج الى السماء، فانه يبهر بما يظهر من الجنة التى من خصائصها أنها تأخذ بالألباب وجّذب الأنظار وجّعل الانسان لا يستطيع أن يفارق رؤية الجنة أو التمتع بالقرب منها. فلم تستطع هذه الجنات أن تشد الرسول اليها بالرغم من جمالها وروعتها وفتنتها، وضرب الرسول ( الله المثل في ذلك حيث لم يلتفت الى الجنات عن يمينه أو يساره.

ويوضح الله سبحانه وتعالى حقيقة الجنات عن اليمين وعن الشمال وعند سدرة المنتهى، حيث يقول تعالى "عندها جنة الهأوى" (النجم: ١٥). حدد الله سبحانه وتعالى أول جنة مر عليها الرسول أنها جنة المأوى، فهى من طبيعتها أن تؤوى كل من يقترب منها ولكن الرسول ﴿ وَعَالَى فَى عالم انقشعت وعرفت أنه يريد وجه الله سبحانه وتعالى فى عالم انقشعت فيه الحجب، عالم الخضوع والخشوع لله سبحانه وتعالى، بخلاف عالم الأرض حيث المفاسد والمظالم والأصنام وظلم الانسان لأخيه الانسان. انه عالى السماء، وشتان ما بين هذا وذاك "رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أصره على من يشاء من عياده " (غافر: ١٥).

وأنطلق الرسول ﴿ الله الله عليه وسجد كلما اقترب "فاسجد والأنوار الالهية، وكلما خشع قلبه وسجد كلما اقترب "فاسجد واقترب"، ويقول الله سبحانه وتعالى "ما زاغ البصر وما طغى" (النجم: ١٧). ان بصر الرسول ﴿ الله الم يتشت ولم يتوزع وكان دائما ناظراً الى الله سبحانه وتعالى "وجوه بو مئذ ناضرة، الى ربها ناظرة" (القيامة: ٢١-٢٣).

هذه هي رحلة البرسول العلمية، والتي قبيل انها رحلة للتسرية عن الرسول ﴿ الله على ما أصابه قبل الرحلة، ولكن الحقيقة أنها كانت رحلة علم، وخقيقا لدعاء السماء التي أحبت الرسول لتراه ويراها عن قرب، لتفقد السموات ورؤية الملائكة الأبرار والتعايش مع الحياة الروحية التي أهلته ليرتقى فى درجات السمو والقرب عند مليك مقتدر هو الرحمن. وكما بينا أن حادثة الاسراء والمعراج كانت رحلة روحانية مباركة من أجل العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهي ترجمة الايان الخقيقي بما حدث في الاسراء وامامة الرسول ﴿ عَلِيلَهُ ﴾ للأنبياء، وهى في نفس الوقت أيمان بكتب الله ورسلم، أيمان لا يغشاه الظن أو الريبة. فالايمان بعالم السماء يؤكد على ضرورة السمو الانساني في الأخلاق وفي العبادات، فكانت رحلة العروج الى السماء. وهى بكل مقاييسها لا يمكن الاقتناع بها الا من خلال المقاييس الروحية. ولأن الرحلة ليست في عالم الواقع ولكنها في عالم الحقيقة. والحقيقة قد لاتبدو بالعقل، لكن العقل له الأمور التي تكون متوقعة، ولذا فان الحقيقة قد تختفى عن العقول الباحثة، ولكنها لا تختفى عن القلوب النابهة التي رأت وابصرت من خلال تعطف أنوار الله سبحانه وتعالى عليها ورحمته وبركاته. وكانت هذه الرحلة بمثابة رد الزيارة التي قامت بها السماء لتلتقي بالأرض في ليلة مباركة هي ليلة القدر، فلولا الأولى ما كانت الثانية، واحتسب هذا الحدث الروحي العظيم عند الله سبحانه وتعالى والملائكة زيارة محمدية لهذا الكون المقدس.

# تكليف الرسول بالدعوة

وتهيأت القلوب المؤمنة لاستقبال حبيب الرحمن ومنقذ الانسان، وكان ذلك في المدينة المنورة حيث اجتمع رجال حول الرسول عنه يأخذون عنه ويؤمنون بدعوته ورسالته السماوية. وفي المدينة تسرى الكلمات الطيبة في قلوب أهلها فيعلنون عن ولائهم للرسول الكرم وتخضع المدينة لحب رسول الله عن ولائهم للرسول الكرم وتخضع المدينة لحب رسول الله عن ولائهم للرسول الكرم وتخضع المدينة المسول عن ولائهم على يوم تزداد الحبة وتتأكد الصلة بالرسول على التلاقى والحب والايثار.

فلم يتآلف الناس برغبة في مال أو جاه أو سلطان، ولكن جمعتهم الألفة في الله سبحانه وتعالى، وكما يقول الله في القرآن الكريم "لوأنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم" (الأنفال: ١٣). وتلك من الحقائق الدامغة التي شهدها التاريخ وسجلها، لتكون منظومة رائعة أو صورة معبرة عن ولاء أهل المدينة من المؤمنين لرسولهم الكريم، وذلك كله تأكيد على أثر الكلمة الطيبة والأخلاق الكريمة والأدب الالهي، وهذا برهان على شخصية الرسول الكريم على المرسولة الكريم.

ويدلل القرآن الكريم في كثير من آياته على صفات الرسول 

المعاني بالقاء على ما كلفه الله به. ويكفى أن نشير إلى هذه المعاني بالقاء الضوء على موقع من المواقع الكثيرة في القرآن 
الكريم وذلك في قول الله تعالى "يلأيها النبي إنا أرسلناك 
الكريم وذلك في قول الله تعالى "يلأيها النبي إنا أرسلناك 

الماهدا وسبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا 
منيرا، وبشر الهو منين بأن لهم من الله فضل كبيرا ولا 
تطع الكافرين والهنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله 
وكفي بالله وكيل " (الاحزاب: ٤٥ – ٤٨). وهذه آيات من الآيات 
المبينة لشخصية الرسول الكريم وأثره الواضح في تغيير 
مجتمعه وهجرة الناس الدائمة الى الله سبحانه وتعالى.

## يسلأيسها النبى

ومع اشراقة الآيات المباركة يستشعر القارئ والسامع مدى تقدير الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم وذلك من خلال النداء الروحى وصوت الالهام الذى أتى من فوق سموات سبع، ومن خلال ياء النداء التى جلجلت فى السموات وفى الأرض وربطت الأرض بالسماء، فان كانت قد بدأت سرا بين الله ورسوله حين كان النداء، فانها انتشرت مع روعة القرآن وحلاوته وانتشاره بين الناس، ليظل النداء الالهى مستمرا على رسول الله سيدنا محمد ﴿ عَلَيْكُ ﴾ الى أبد الآبدين.

لم يكن نداء الله للرسول من أجل يقظة لأنه ﴿ عَلَيْكَ ﴾ كان دائم اليقظة لله سبحانه وتعالى، فكان النداء الذى ربط ما بين الأرض والسماء هو تكليف الرسول بالمهام الأساسية للدعوة، وهو تكليف يتوج تكاليف الله الشرعية لرسوله وللمؤمنين. ولقد كانت لغة الله في القرآن الكرم توضح بشكل مثير للالتفات والانتباه فيما يختص بتقدير الله لرسوله حينما قال له "يا أيها النبى"، فالله سبحانه وتعالى يخاطبه بهذه الكلمة بينما قد يتهاون من قال للنبى: يا نبى، وهذا هو الفارق

بين خطاب الله وخطاب غير الله لرسول الله سيدنا محمد ﴿ الله بنا الله الله الكلمات وأعطرها وأعمقها حباوعاطفة، وذلك هو مقام الرسول الكريم عند ربه، وأيضا عند خلق الله جميعا في الأرض وفي السماء.

وكلمة نبى جاءت من الإنباء، فالرسول الكريم ينبئ عن الله سبحانه وتعالى، وغيره ينبئ عن الدنيا وأخبار الملوك والعظماء والساسة والقادة وغيرهم، ولكن الرسول (المسول المنبئ عن ربه، وهذه منزلة كبرى أن يكون الرسول هو المتحدث الرسمى عن الله سبحانه وتعالى، وتلك قمة الخلافة وروعة التقدير والثقة من الله سبحانه وتعالى بما دفع كثير من الناس للقبال عليه والثقة فيه حتى يومنا هذا والى أن يرث الله الأرض وما عليها ، كانت هذه مكانته وكانت مكانته أيضا قبل أن يتنزل عليه القرآن.

ويتحدث الرسول الكريم عن الله فيما جاءه وحيا أو الهاما، ومن خلال وسائل الاتصال التي بينه وبين الله سبحانه وتعالى، كالوحى والرؤيا والمشاهدة والهاتف والاشارة والالهام، وتلك علوم غيبية لا تغيب عن الرسول ﴿ وَقَد تغيب عن الرسول ﴿ وَقَد تغيب عن كثيرين من لم يلمسوا الحياة الروحية التي جُعل القلوب متصلة بربها الحجوب.

## إنا أرسلناك

الحديث عن الرسول ﴿ عَلِيهُ ﴾ انما هو حديث عن العلاقة القوية بين العبد وربه، وهذا عالم روحي تتكشف فيه الحقائق والمعارف والعلوم، وتتأكد فيه القلوب من قربها ودنوها من ربها، وتسمو العبادات من خلال المعرفة حتى تبدو الفرائض كأنها مقدمات للعبادة المثلى . وفيها ينتقل العابد من عبادة الله بالتكليف الى عبادة الله بالتعريف، فيقيم الصلاة وقد سكن في قلبه الله. وكان الرسول الكريم ﴿ الله عَلَيْكُ ﴾ في صلواته يقترب من الله كاقترابه في ليلة الاسراء والمعراج ويقول "أقرب سا يكون العبد الى ربه وهو ساجد". كما يقول "وجعلت قرة عينى في الصلاة"، وكلما حيزيه أمر من الأمور فزع الى الصلاة وقال لبلال أرحنا بها يا بلال، فكان يؤمن أن الله معه في سجود قلبه وخشوعه. ويستمر الصوت الرقيق والوحى المنزل في إخبار الرسول بتكاليف الهية.

انه القرار الالهى الأول الذى حدد مهام الرسول الكريم في قرول الله تعالى "إنا أرسلناك". وهذه هي الرسالة التي تقوم أساسا على الرحمة كما جاء في قول الله تعالى

ومن اشراقات الرحمة على الأرض الأمن الذى تطمئن به القلوب وتنصلح به الأحوال، فلا فزع ولا خوف ولا ضيق ولا معاناة، فالناس جميعا أخوة متحابون، لا فرق بين غنى أو فقير الا بالتقوى والصدق والاخلاص، فلن ينزعج فقير لقلة المال وهو يعلم أن المال مال الله، ولن يتطاول غنى بماله ليبطش بالأرض ويبغى الفساد لأنه يؤمن بأنه ليس حرا في انفاق ماله على نزواته وشهواته ورغباته الآثمة، بل عليه انفاق المال في مصارفه الشرعية.

ولم يكن الأمن محصورا على الذين آمنوا بالرسول الكريم وأسلموا قيادهم لله، بل اتسعت دائرة الأمن لتشمل الخالفين في العقيدة والمشركين بالله سبحانه وتعالى، فلا اكراه في الدين. ولم يقف الأمن على بنى البشر وحدهم، بل تخطى الى الطير والخيوانات والنباتات، وتلك لا يجوز قتلها أو اقتلاعها لجرد العبث والدمار بل من أجل المنافع الانسانية، وتلك انعكاسة الأمن على البيئة والسكان.

ومن الرحمة المهداة ضمان الحقوق وخاصة للنساء والأطفال، وحتى الجنين في بطن أمه له حق في الميراث كفلته شريعة الله سبحانه وتعالى. وتغلغلت الرحمة في ضمير الأمة لتكون سر السعادة والانشراح فلا يبدو مؤمن بوجه عبوس ولا بلسان فاحش ولا بيد آثمة تستحوذ على ممتلكات الناس أو تسرق أموالهم أو تقبل المال الحرام بالرشوة وشهادة الزور وبيع الضمائر.

والحديث عن الرحمة لا يتوقف عند حد، ولذا فان حديثنا فى هذا المقام فيه اقلال وتواضع ، وهو يخلو من البحث الدقيق والانصاف الحقيقى ، وهو مجرد واجهة للحديث عن رحمة رسول الله ﴿ وَأَثْرُهَا على الانسان والمجتمع، وتلك هي رسالة الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﴿ وَاللّهِ اللّهِ المصطفى سيدنا محمد ﴿ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ المُصطفى سيدنا محمد ﴿ وَاللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ

### شـــــاهـدا

أيقن الرسول ﴿ الله في قلبه وايمانه التحقق الكامل بعالم الغيب وعالم الشهادة "ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرديم" (السـجـدة: ٦). وما يتعلق بالغيب، فهو من أولى نبضات الايمان بالله سبحانه وتعالى ومن أولى مواصفات المؤمنين والمتقين، والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم "الم، ذلك الكتاب للريب فيه هدى للمستقين، الذين "الم، ذلك الكتاب للريب فيه هدى للمستقين، الذين يؤ منون بالغيب ويقيمون الصلة ومما رزقناهم بنفقون "يؤ منون بالغيب ويقيمون الطلة ومما رزقناهم بنفقون "

ويمثل الايمان بالغيب الخطوة الأولى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والرسول الغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والرسول العيب الذي قد يغيب عن العيون ولا يغيب عن القلوب فهو شاهد على الله الباطن والظاهر وأثبت شهادته بقوله (الله الشهد أن لا اله الا الله والظاهر وأثبت شهادته بقوله (الله القول أو الاعلان ولكنه وأن محمدا رسول الله ". ولم يكتف بالقول أو الاعلان ولكنه أكد على حقيقة التوحيد بشهادته اليقينية الصادقة . والرسول (الله التوحيد بشهادته اليقينية الصادقة والرسول (الله النه من آيات ربه الكبري وآمن بالغيب عن

حقيقة واعية ورؤية صادقة ، وكما تتحدث رحلة الاسراء والمعراج ، لتعطى تأكيدا واضحا لايمان الرسول الكامل بعالم الغيب، والغيب كله هو الله سبحانه وتعالى ، فهو الظاهر بلطفه وجماله في الأرض وفي السماء ، والباطن الذي لا يغيب عن قلوب المؤمنين بأنواره واشراقات علمه. فالله سبحانه وتعالى غيب تتحقق منه كل القلوب المؤمنة.

وننتقل انتقالة سريعة من عالمنا الروحى ونشاهد عن قرب عالم الشهادة، وكما جاء فى قول الله تعالى فى مهام الرسول الكريم " يلأيها النبس إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا ونذيرا ، وداعيا الس الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤ منين بأن لهم من الله فضل كبيرا " (الأحزاب: 20-22).

والحديث يركز فى هذه الوجهة على المهمة الثانية لرسول الله ﴿ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الله الله الله الله النبى إنا أرسانة ، وهى الشهادة فى قول الله تعالى " يبابها النبى إنا أرساناك شاهدا " والشهادة يقول عنها البرسول الكريم " ان الشاهد يبرى عال يبرى الفائب " (آخرجه ابن سعد فى الطبقات عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه ) فالشاهد حاضر وهو ليس بغائب أو مبتعد ، أو كله الله سبحانه وتعالى ليكون شاهدا، وأول ما شهده الرسول

أنوار الحق فى قلبه فعرف الله سبحانه وتعالى، شهد نعمة الله سبحانه وتعالى فى حياته من خلال نبوته وقربه من الله سبحانه وتعالى، شهد التوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى فكتب شهادته عند الله حينما قال أشهد أن لا اله الا الله، وهذه منزلة من أرفع وأعلى المنازل،أن يكون الرسول المنائلة من شاهدا على الله سبحانه وتعالى وقد كلفه الله بما أعطاه من منح وأسرار وهبات ليكون من أول الشاهدين على وحدانية الله ووجوده وحقيقته وحبه وأنواره وكل ما كان يراه من الله سبحانه وتعالى يشهد به على أنه الحق من ربه

وكـما أنه ﴿ الله شاهد على أنوار الله وأسراره وغيبه ووجوده ووحدانيت مفهو شاهد أيضا على قلوب من آمنوا وأسلموا قيادهم لله سبحانه وتعالى ، فقد شهد أنوار الابمان في قلوب المؤمنين ، فأصبح المؤمنون في موقع شهادة الرسول في قلوب المؤمنين ، فأصبح المؤمنون في موقع شهادة الرسول بشهداء عند ربهم، وقد بشر الله الشهداء بالجنة، كما بشر الرسول من قال لا اله الا الله صادقا بها بالجنة أيضا. وشهادة الرسول في المؤمنين تزيدهم ايمانا على ايمانهم ، وشهادة الرسول في المؤمنين تزيدهم ايمانا على ايمانهم ، لأن شهادة الرسول ألله على عباده أحبائه الله على عباده أحبائه المؤمن والأرواح ، وتلك من من الله على عباده أحبائه

والمؤمنين بمالذين سلكوا الطريق المستقيم فعاشوا في حياتهم لا يكتفون بأن يقولوا لا اله الا الله، ولكنهم يشهدونها صدقا وتطبيقا واخلاصا ويقينا وأملا. وهكذا شهدوا لا اله الا الله في قلوبهم فخطت أقدامهم على الأرض لتثبت هذه الشهادة فيما يفعلونه عملامن حب للخير، وسعى من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى،والوقوف بجانب الضعفاء والمساكين والمغلوبين على أمرهم والمظلومين وكل من له مشكلة أو في ضيق أو شدة،وذلك ما يشهده الرسول على المؤمنين من خلال صدق إيانهم وروعته في قلوبهم، وكل ذلك واقع حت بصر رسول الله سيدنا محمد ﴿ الله ومن خلال رؤيته الروحية لقومه الذين يعملون من بعد حياته بالاسلام والايمان القوى بالله سبحانه وتعالى. قال ﴿ عَلِي ۗ ﴾: "حياتم خير لکم نددثون ویحدث لکم فاذا أنا مت کان مماتی خیرا لکم تعرض علی أعمالکم کل یوم فان رأیت خیرا حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت لكم".

ولم يبق فى جو الشهادة الا شهادة أخيرة على هؤلاء الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهؤلاء الذين ابتعدوا عن الاسلام وعن الايمان ووقفوا فى طريق الاصلاح وكفروا بالله سبحانه وتعالى وأظلموا الحياة على الناس بعدما جعلها الله نورا يأخذ بأياديهم ويمد لهم يد العون والرحمة، واذا بهولاء المتسلطين على الانسانية والخارجين على حدود الله والكافرين يعملون على اصابة الانسان بالضيق وبالشدة والفقر والهوان والمذلة.

والرسول الكرم شاهد على أعمال هؤلاء في يوم القيامة حينما يقف الكافر الذي ألحد وضل وأفسد بين يدي الله نادما ويومئذ لن يفيد الندم، فعقاب الله شديد على الكافرين، بينما يشمل الرسول بشفاعته المؤمنين من أمته، فمن كان إيانه ضعيفا دعا الرسول ربه للتجاوز عن السيئات وتكفيرها "ربنا إننا سمعنا مناديا ينادس للإيمان أنءامنوا بربكم فعامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار" (آل عمران: ۱۹۳). ومن كان إيمانه قويا تشفع له الرسول ﴿ الله الرسول ﴿ الله الرسول ﴿ الله الله عمران: ۱۹۳ بدعائه لله أن يدخله جنات أعلى ليلحق بالصالحين ليغبطهم الشهداء وترحب بهم الملائكة والأنبياء "وسبيق الذبين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" (الزمر: ٧٣)، وشفاعة الرسول الكريم هي ثمرة التشهادة التي كلف الله سبحان وتعالى بها، ومن أجل ذلك فمن فقد شعاعة الرسول فقد رؤية الرسول له يوم القيامة وذلك لجفاء قلبه وظلمه وسوء تقديره لدعوة الاسلام.

وشهد الرسول بشفافيته وتأمله لآيات الله الكونية ، فعلم من علم الله وقمل بجماله وتلطف بلطفه ، فجذبه العلم والجمال واللطف لمناجاة ربه واستعطاف الله للمزيد من رعايته وحبه وتوفيقه ، فكانت العبادة الراقية التى انعكست على صفوة من اتبعوا الرسول وتأسوا به ولتستمر الشهادة وتستمر معها الدرجات الرفيعة والمقامات الروحية العالية لتكون زادا شهيا للمؤمنين وإلى يوم الدين .

### ومبشرا

بالرغم من محاولة التعرف على الأسرار الروحية للرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ إلا أن تلك الأسرار كنزلم يكتشف بعد . ويتشابه ذلك مع حقيقة الجنة التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فالرسول والجنة حقيقتان متشابهتان لا يعرف عنهماإلا أقل القليل. لقد منَّ الله على رسوله بأسرار البشرى التي تنساب الى العقول و القلوب، وتلك خاصية يكاد الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ أن يتفرد بها ، اذ منحه الله سبحانه وتعالى أسرار القبول وطبيعية الحضور ولغية القلوب والدعاع المستجاب والاحساس بما تنظوي عليه النفوس حتى لا ينطلي عليه النفاق والمظاهر الخادعة. وأمام هذه الترتيبات الالهية فان فاعلية البشري تكون ذات طبيعة مؤثرة للنفوس التي أحب الله لها الهداية ، كما تكون البشرى بالنسبة للرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ ذات طبيعة واعية لا تبشر القلوب الفاسدة التي لا يرجى منها صلاح ولا يؤمل لها شفاء ، ولا بشرى طيبة لأصحاب هذه القلوب، وإن كانت لهم بشرى يبشرون بالعذاب الأليم . والبشرى الحقة هي الايمان الكامل بالله سبحانه وتعالى، والتأكيد على وحدانيته لسلامة العقيدة الدينية. فمجرد أن يؤمن الانسان بالله الواحد، فإن هذا وحده يثقل الميزان في يوم الحساب، وينعكس أثر الايمان بالله على الجتمع الانساني بالحبة والرعباية والأمن والسلام. ليقد أرسله الله سيبحانه وتعبالي مبشرا وليس منفراافالانسان بحاجة ماسة الى الأمل والبشرى التي تسعد حياته وتدخل السرور على قلبه وتسمو ملكاته الروحية والفكرية ، وتلك من خصائص الدعوة الحمدية . فمن حق المعــذبين في الأرض والتعساء والمظلومين أن يــفرحـوا بما جاء به النبى من دعوة تدعو للوقوف بجانبهم ، فأن الأوان للتعساء أن يسعدوا بدعوة تخلصهم ما هم فيه ، وتلك هي البيشرى التى جنبت القلوب المعذبة والنفوس المتألمة الحائرة لتشارك الرسول ﴿ عَلِيه ﴾ كفاحه ونضاله من أجل خرير الانسان وتخليصه من الآلام.

وان كانت البشرى فى الحياة الدنيا تهدف الى سعادة الانسان وأمنه واستقراره واستعادة المساواة وتطبيق العدل واشاعة السلام، فإن البشرى فى الحياة الآخرة هى التى حقق للانسان مرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول المناه المنان مرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول المناه المنان عرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول المنانة الله المنان عرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول المنان المنان عرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول المنان المنان عرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول المنان ا

"أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا اله الا الله صادقا بها دخل الجنة" (أخرجه الامام أحمد والطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه). ويؤكد القرآن الكرم هذا المعني عن البشري في قول الله تعالى "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين عامنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم "ريونس: 11–12).

وبشرى العمل الصالح تتجلى فى القبول من الله وتتضح من استجابة الدعاء وتمكين المؤمنين وابدال خوفهم أمنا وشقائهم سعادة وتشاؤمهم تفاؤلا، وعلى هذا النحو تكاد البشرى أن تكون ذات واقع ملموس يستشعره المؤمن ويراه فى حياة المؤمنين فيزداد ايمانا على ايمان ويهتدى بنور على نور والايمان القائم على البشرى يمحو كل حرج وضيق وشدة ، حتى الذين يقاتلون فى سبيل الله يستبشرون برضوان الله عليهم الذين يقاتلون فى سبيل الله يستبشرون برضوان الله عليهم النيستين منعمة من الله وفضل " (آل عمران : ١٧١). فالمؤمن دائما مع احدى الحسنيين ، فيبشر بالنصر ويبشر بالشهادة .

فطريق الجهاد واضح، إما النصر وإما الشهادة. والذين مع رسول الله في يستبشرون بقربهم من الله في تتنزل عليهم الملائكة وتغمرهم الحبة وتغشاهم السكينة فترتقى أرواحهم الى معارج القدس الالهى فتشفى نفوسهم وتتطهر من آثامها. تنزلت عليهم الملائكة حتى قال أحدهم لوغاب عنى رسل ربى من الملائكة لما عددت نفسى من الموحدين.

فالأنوار والطمأنينة والملائكة والقبول والرضا من بشرى العمل الصالح، وشهادة المؤمنين في حق الذين توفتهم الملائكة طيبين تبشر بالشفاعة لهم عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة " أنتم شهداء الله في الأرض " ( أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه ) ، كما يقول الرسول ﴿ الله الله المنة أو اثنان " أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة أو ثلاثة أو اثنان " ( أخرجه أحمد والبخاري والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ) .

والبشرى تلاحق الانسان فى قبره ، فقبر الانسان هو المؤشر الخقيقى لكل من فارق الحياة لأن القبور لا تلزم الناس بزيارتها ولا تملك قوة تلوح بها ، ومع ذلك هناك قبور يزدحم الناس على زيارتها وتذكر مناقب أصحابها ، وقبور هجرت وانفض الناس

عن زيارتها حتى تلاشت وانتهت معالمها . فالقبر مقياس يستخدم للتعبير عن صلاحية المتوفى ومدى ارتباطه بمجتمعه . فأضرحة الرسل والأنبياء وأولياء الله الصالحين بقاع طاهرة يلتف الناس حولها وتنجذب القلوب لها وتتنزل عليها الملائكة وبها تتميز الأرض عن غيرها،وهذه هى البشرى الظاهرة والواضحة التي تؤكد على صدق الدعوة واخلاص الرسالة وألفة الله ونصره واحسانه لعباده الخلصين . وما حويه آيات القرآن من أسماء لامعة للرسل والأنبياء والصالحين مثل مرم عليها السلام انما هو تأكيد على البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تغيير ولا تبديل لكلمات الله وذلك هو النصر والفلاح والفوز العظيم .

وفى كل أمر من الأمور ولقاء من اللقاءات كان الرسول وفى كل أمر من الأمانه الصادق بقضاء الله وقدره ، ولم يعرف عنه أنه كان مكتئبا أو متشائما . فالرسول والتي كان دائما متفائلا مستبشرا بعبادته لله سبحانه وتعالى وما أنزل الله عليه من آيات القرآن الكريم ومن الرحمات والطيبات وما رزقه من خير فى دنياه وفى آخرته . ويكلف المؤمن بأن يهتدى بهدى الرسول الكريم وليكون دائما فى نطاق التبشير

بالكلمة الطيبة وبالعمل الصالح، فلا يرى المؤمن الا فيما يرضى الله ، فلا يسرق السارق وهو مؤمن ، فالمؤمن مع ذكر الله وما نزل من الحق .

وكان الرسول ( الله عليه الأنظار الى الذين والوه وأخذوا منه وباركهم الله سبحانه وتعالى فيقول " أولياء الله الذين ابن اذا رؤوا ذكر الله " ( أخرجه الحكيم الترمذي والبزار عن ابن عباس رضى الله عنهما ) . فهذه كلها بشريات قد نماها الرسول الكريم في أمته حتى يروا الحياة بما أفاء الله عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ويستبشرن بمرضاة الله سبحانه وتعالى .

فالمؤمن لا يعرف طريقه نحو اليأس ولا يعرف طريقه من خلال خيبة الأمل، ولكن أمله في الله كبير وثقتة بالله أكبر وحياته كلها من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، وتلك بشرى الحياة الطيبة والايمان الصادق بالله سبحانه وتعالى، ويرجع ذلك لما اعتاده المؤمنون بما يريهم الله في منامهم وبما يلهمهم في قلوبهم وقد بشر الله يعقوب عليه السلام فرد اليه يوسف " ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف الهال أن تفندون ، قالها تالله إنك لفى ضلاك القديم،

فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألـم أقـل لكـم انـى أعـلم مـن اللـه مـا لا تعلمــون " (بوسـف : ٩٤ – ٩٦).

ومن البشرى تلك الدرجات الرفيعه التي حازها الانسان المؤمن بسبب اسلامه وايانه، فرأى الحق وآمن به، وأمده الله سبحانه وتعالى بعنايته فأراه في منامه وأراه في يقظته وأنزل النور على قلبه. ومن بشريات العمل الصالح القرب من الله سبحانه وتعالى ، فيتفاعل المؤمنون في حياتهم ويبشرون الدنيا كلها بالأمل وصلاح الأحوال ورضوان الله سبحانه وتعالى مع الاستمرار على طاعة الله والإيمان الكامل به سبحانه وتعالى، وتلك هي الحياة الإيمانية التي حولت الأرض والسماء الى جنات يغشاها الإنسان ويقطف ثمارها ، فيها من كلمات الله وبشرى القرآن وكلمات الرسول ﴿ عَيْكُ ﴾ التي تضيئ هذه القلوب بعدما كانت مظلمه، وتعطيها البركة والنور بعدما كانت خاليه . وهكذا كانت البشري تملأ الحياه لكل انسان مؤمن وتمتد لتملأ الحياة الإجتماعية التي تأثرت بالإسلام وهدأت واستقرت وسعدت، وكلها بشريات العمل الصالح والمجتمع الاسلامي السعيد الذي قدمه الرسول ﴿ عَيْكُ ﴾

في رسالته.

ولم تقف البشري عند حد من الحدود ولكنها امتدت لتصحح العادات والتقاليد البالية التي عكف الناس عليها، كقتل الأبناء خعشية الفقر ووأد البنات خوفا من العار، والبعد عن الصدق ، فجاءهم الاسلام يبشرهم بالحقيقة وبالصدق الكامل الذي يتحلى به المرع، وهكذا بشر الاسلام الخطئين فأصلحهم ، وبنشر الكافرين فحولهم الى مؤمنين ، وبشر الفقراء فأغناهم عن السؤال، وبشر الأغنياء فتقبل الله منهم أعمالهم الصالحة . وهكذا نجد البشري سلاح الانسان أينما كان وأينما ذهب . بشرى خقق الاستقرار والأمن والحياة الرغدة من خلال تقوى الله سيحانه وتعالى والعمل على مرضاته . والبشرى هي للحياة الدنيا والحياة الآخرة . ونختتم بقول الله تعالى " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدس ورحمة وبشرس للمسلمين " ( النحل : ٨٩ )

#### ونـــذيـــرا

لقد كلف الله رسوله ﴿ الله الناس وهدايتهم بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد لا يستجيب الناس لما يدعوهم اليه الرسول ﴿ الله العدم التقدير أو سوء الفهم أو عدم حمل المسئولية . وازاء ذلك كان لا بد من وقوع عقاب الله عليهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم . وحيث أن دعوة الرسول ﴿ الله السَّالَ ﴾ لقومه تقوم على الرحمة كان لا بد من الانذار قبل حدوث الخطر من جراء عقاب الله وعذابه للكافرين بما يدعو اليه الله سبحانه وتعالى . ويتبين من ذلك أن الأخلاق القرآنية كانت تدعو الرسول ﴿ عَيْكُ ﴾ للترفق بالناس وعدم التشفي لعذابهم أو الانتقام منهم ، وتلك من الجوانب الأخلاقية التي لازمت الرسول في حياته لميله الشديد نحو العفو والصفح الجميل. فكان الرسول ﴿ الله الله عنه الله عنه الله عنه الله الماء المحرفوا، وهذا درس من دروس التوعية أو التربية الأخلاقية أو القيادة والريادة.

ومن الناس من يعمل على استدراج الناس ليقعوا في الخطأ ثم تبدأ معاقبتهم أو محاكمتهم ، وهذا ما نراه كثيرا في حياتنا اليومية التي قد تخلو من النصح والارشاد والعفو ،

فكأن المقصود هو معاقبة الخارجين على الأوامر والتعليمات والقوانين بغض النظر عن النصح والارشاد وخاصة للجهلاء والسفهاء وغيرهم ، كما يقولون أن القانون لا يحمى المغفلين بينما شريعة الله سبحانه وتعالى تتسامح مع الغافل والجاهل . ويؤكد القرآن الكرم على ذلك بقول الله تعالى " وما كنا معذبين دنى نبعث رسول " (الاسراء: ١٥).

والنبى المنذريدعو الناس الى ما أمربه الله من أجل دعم المجتمع الانسانى بالأمن والسلام والمحافظة على كرامة الانسان وضمان حقه فى الحياة الحرة الكريمة وكفالة العدل والمساواة. فمن أجل سلامة المجتمع وحرية الانسان كانت الدعوة التى تقوم على الانذار والامهال والصبر على المكاره والايذاء . من أجل ذلك كان الانذار من قلب يدعو للخير وليس من قلب يدعو للضرر والأذى ، والفارق واضح بين من ينذر بنصحه وسمو عقيدته وبين من ينذر وبيده عصا أو سلاح ، وتلكم هى خصائص الدعوة ونظرة الرسول المناه وللإنسان .

# وداعيا إلى الله بأذنه

وحينما اختص الله رسوله ﴿ الله عليه أعده وهيأه ليدعو بقلبه الطاهر ونفسه المطمئنة وعقله الراجح وبصيرته النافذة والهامه الصادق وأحاسيسه الرقيقة ونظراته الرحيمة ولسانه العذب ووجهه البشوش وطبيعته الخيرة ، فيكاد كل جزء فيه أن يكون مكلفا بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى. وذلكم هو الداعي الذي يرقبه أهله وعستسيرته وأصحابه وأحباؤه ، فيتأثرون بهيئته وحديثه وآدابه وأسلوب حياته،حتى في طعامه وشرابه ونظافة أسنانه وملابسه وعنايته بزينته. فكل حركة وسكنة ويقظة ونوم وعمل وجهاد شدت انتباه الناس ليأخذوا عنه ويقتدوا بسنته، فهو الداعى في هزله وفي جده وفي ضيقه وشدته ومحنته وفي نصره وخقيقه لأمانيه وآماله في انتشار دعوته.

وقبل أن يكلف الرسول ﴿ الله الله كان الله كان الله كان في هيئة النبوة مستجاب الدعاء عليما بما يعلمه من الله سبحانه وتعالى وخقق من مقام العبودية وهو مقام القرب القرب من الله سبحانه وتعالى، فلا سبب يباعد بين العبد

وربه, بل كل الأسباب تدعو للقرب من الله، فكلما دعا الرسول ربه استجاب له فاستجاب الله فاستجاب الله للرسول لله فاستجاب الله للرسول فاستجابة هي الرابطة المرسول فاستجابة هي الرابطة القوية بين العبد وربه وبين الرب والعبد، ويقول الله سبحانه وتعالى " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤ منوا بى لعلهم الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤ منوا بى لعلهم يرشدون" (البقرة: ١٨٦)، ويقول تعالى " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعلمون بصير " (هود: ١١٢)

وبذلك التركيب الروحى المتميز للرسول ﴿ الله استمرت دعوته بعد وفاته ولقاء ربه وأقبل الناس على دعوته وكأنه فيهم وأحبه الناس وكأنه معهم ، فلم تكن دعوته الى قومه فقط يراهم ويرونه بل كانت أيضا لأحبائه الذين لم يجالسوه ويصافحوه . ويؤكد الرسول هذا المعنى حينما كان جالسا بين أصحابه فاذا به ينظر اليهم ويقول " عتى ألقى أحبابى ؟ عتى ألقى أحبابى ؟ عنا ألقى أحبابى ؟ فقال ؛ أنتم أصحابه ، ولكن أحبابى قوم لم يرونى أحبابى قوم لم يرونى و آمنوا بى ، وأنا لهم بالأشواق " (أخرجه أبو الشيخ فى

الثواب عن أنس بن مالك رضى الله عنه ).

وان كان للرسول ﴿ عَلِيه ﴾ تأثير روحي واضح على أصحابه وأحبيابه، فيان دعيوته قيد حظيت باحترام من خيالفوه في العقيدة، ورأى المنصفون منهم والحايدون أنه لا يمكن انكاره كمصلح اجتماعي،ولا يستطيع أشد الناس عداوة لدينه أن يخالفوه في مقصده ووجهة نظره فيما يعلنه من اسلام على الناس ومن خلال مقولته الشهيرة "الاسلام أن بسلم لله قلبك". فهل يختلف أحد على وجه الأرض في مثل ذلك التعريف الحاسم الذي ختشد فيه كل كلمات الرسل والأنبياء من قبل، والتي تؤكد لكل من وافقه هذا التعبير عن الاسلام أنه مسلم من كل قلبه حتى ولو ادعى غير ذلك. وتلك هي الدعوة الخاتمة التي أمره الله أن يدعو بها ويتعلم من بعده من الدعاة عن كيفية الدعوة لله وذلك في قول الله تعالى "أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالهمتدين" (النحل: ١٢٥).

ازاء ما تقدم ينبغى على كل انسان أن يعطى للرسول المعلى المرسول المعلى على كل انسان أن يعطى للرسول المعلى المعلى على المعلى على المعلى على المعلى على المعلى المعلى

الانسان أن يعود الى الحق وأن يكون محايدا، فما عليه أن يعادي رسولا أحبه الله, وما عليه أن يظلم نفسه بتنكره للرسول ﴿ الله المانه بما يدعو اليه. إن أبسط المعايير تدعو الى خليل الكلمات والوصول الى الحقيقة والمنطق السليم دون اقحام النفس في خمل خطأ انكار نبوة ومحاربة دعوة يغضب من أجلها الله سبحانه وتعالى، ولا تعقيب على اختيار الله واصطفائه، بينما يحق التعقيب على الكلمات أو المبادئ الخارجة عن الأخلاق وما تدعو اليه الكتب السماوية، ويقول الله تعالى "رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق" (غافر ١٥٠). ان دعوة الرسول الروحية لم تكن تقف عند حد الكلمات ومخاطبة العقول، ولكنها كانت تخاطب ملائكية الانسان في قلبه وفي ضميره، فيتحول الانسان نفسيا وقلبيا الى الاسلام بعدما أسلمت أعماقه وذرات ملائكيته التي تمثل نور الله في الانسان وقبضته وهيمنته.

يوضح القرآن الكريم أن الرسول ﴿ الله هو الداعى الى الله سبحانه و تعالى كما أمره الله سبحانه وتعالى ، فالرسول داع الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأخلاق الفاضلة

والسماحة والرحمة والمغفرة وكظم الغيظ وأسرار وبركات النبوة. لم يكن الرسول ﴿ عَيْكَ ﴾ داعيا إلى دنيا تتسم بالشهوات ولا إلى جاه ولا إلى مال ولا إلى حاكم من الحكام أو ملك من الملوك على هذه الأرض ، ولكنه كان داعيا لله سبحانه وتعالى. فكلفه الله سبحانه وتعالى بأن يعيش حياته مكلفا بالدعوة إليه سبحانه وتعالى ، وكان ذلك من ترتيب الله أن يختار ويصطفى من يكون داعيا إليه ، فكان الاختيار للرسول الكريم لأنه الداعيي إلى الله سبحانه وتعالى، فكان الاسلام دعوة الرسول الكرم والامان والتقوى والاحسان، وكل هذا يدعو الى حياة الطمأنينة والأمل والرضا والرجاء باصلاح الأحوال وبلوغ الآمال ، فكان طوال حياته يدعو الى الله سبحانه وتعالى بالقول وبالقلب وبالفكر وبالعمل وبالجهاد والتضحية والاخلاص. وهكذا سلك طريق الدعوة الى الله سبحانه وتعالى فرفعه الله مكانا عليا وأنزل عليه سكينته وباركه ودعا أمنه لتحبه وتعمل بما يقر عينه.

وهكذا أعطاه الله مسئولية الدعوة ومنحه سلوكها وأكرمه في مساره الروحي وأنزل عليه ملائكته واحتسبه داعيا إليه ليس مجهوده ولا بفكره ولا بذكائه ولكن باختيار

الله وباصطفائه لنبيه الكرم. فلقد دعا الرسول ( العقول العقول الله الله سيبحانه وتعالى فأمنت ودعا القلوب الى الله فاستجابت وامتزج الايمان بالعقل والقلب.

وجوهر هذه الدعوة هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا من التوجهات الروحية والعنوية والنفسية والدنيوية أيضا من أجل الحافظة على الجنس البشرى وسلام الأرض وكرامة الانسان. فهو برنامج ضخم ذو مهام كثيرة ويحتاج الى نوع من التربية الحقيقية والآداب الربانية، ولا يقوى على هذا الا معلم كالرسول أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ومن مؤشرات وضوح هذا البرنامج قول الله تعالى "قل إن صالتى ونسكى و محياس ومهاتى لله بب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول الهسلمين" (الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣).

فلقد سيرت هذه الدعوة المباركة حياة الانسان روحيا وماديا ودنيويا وأخرويا لاخضاعها من أجل الله وبالتالى آمن الانسان فسخر حياته لله سبحانه وتعالى. وكما أن الصلاة لله سبحانه وتعالى فان النسك والحياة من أجل الله سبحانه وتعالى ومرضاته, فالانسان المؤمن لا يفرط في الايمان ليؤمن بالبعض ويهمل البعض الآخر، فلا افراط ولا تفريط.

وهكذا حقل الدعوة الى الله سبحانه وتعالى كبير متسع ويحتاج الى مجهودات مكثفة للعمل. فالدعوة لله سبحانه وتعالى ، أما الداعي المثالي فيجب أن تتوافر فيه شروط كثيرة من أهمها أن يكون نقيا صالحا مستجيبا لله، والداعي يجب أن تتطابق أقواله مع أفعاله، فلن يكون كمن يدعو لحاربة التدخين وهو في نفس الوقت من المدخنين وبالتالي فيان دعوته لن تكون مؤثرة أو مقبولة، ويخطئ من يقول: خذوا بأقوالي ولا تأخذوا بأفعالي فان ذلك هو التهرب الواضح من الدعوة والافلاس الحقيقي للداعية. والداعية الحقيقي له نقاع حضور يحقق له التلاقى وتوارد الأفكار بينه وبين من يدعوهم ، فلا يبقى في قلب أحدهم أمرالا وأظهرته شفافية الدعاء. وتلك الأوصاف لا تنطبق الاعلى الذين اصطفاهم الله وكانوا من أوليائه.

فالرسول ( الله وغيره قد يكون داعيا للجاه أو السلطان أو الملك أو العظيم من العظماء أو لملك من العلماء أو الملك من المعظماء أو الملك من الملوك. لكن الرسول ( الله الله سبحانه وتعالى ، فيدعو في قوله ويدعو في صمته , يدعو في صحوه ويدعو في نومه وسباته ويدعو في حركته ويدعو في سكونه ، فيلا توجد لحظة من اللحظات تمر على الرسول

الكريم الا وكان فيها داعيا لله سبحانه وتعالى، فعاش يدعو بلسانه وبعقله وبفكره، وعاش يدعو بقلبه وبروحانياته، لذلك هناك النظرة الروحية الخارقة التي كانت تصيب القلوب.

هذا هو فعل الداعى الى الله سببحانه وتعالى، أنه يستطيع أن يتحمل أذى الغير، ويستطيع أن يتحمل مصائب الأيام وكوارثها، ويستطيع أن يتحمل الضيق والشدة ولا يخرج لخظة واحدة عن حيز دعوته لله سبحانه وتعالى. ويستطيع أن يتحمل الثبات على الحق حتى ولو خالف ذلك أكثر الناس. فهو استعداد مرتب ومنظم ومنسق من الله سبحانه وتعالى ليلقى هذا كله فى ضمير وفى قلب وفى كيان الداعى الى الله سبحانه وتعالى من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، وتكليف الهى من الله من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى،

من أجل عبادته على هذه الأرض التى تنعكس على حياة الانسان المثالية الآمنة. فالطريق الى الله سبحانه وتعالى هو طريق سعادة الانسان ورقيه وأمنه ومعيشته الطيبة. والبعد عن الله سبحانه وتعالى هزمة وضيق وشدة وحرمان وظلم وقهر وكما خلق الله الناس على هذه الأرض أوجد لهم الرسل والأنبياء لبدعوهم الى عمل الخير، ولم يخلق الله الناس على هذه الأرض ليعيشوا حتى وطأة الذلة والمسكنة والظلم وقبضة الفساد وحت طائلة الطغاة، ولكن كانت رحمة الله سبحانه وتعالى في دعوة الرسل والأنبياء وخاصة خاتم الرسل والأنبياء الرسول الكرم سيدنا محمد ﴿ وَاللَّهُ الذِي شَرفه الله سبحانه تعالى بقوله "وسواجا عنيما".

#### وسسراجا منيسرا

رسم الله الطريق اليه وخاض الانسان الحياة ليصل الى هذا الطريق، وفى الحياة ظلمات مكثفة وظلم بين وعراقيل تقف فى طريق الانسانية. فهل يستطيع الانسان أن يهدأ وينام فى مكان صحراوى منعزل، رما يقلق فى الليل من خوفه من ثعبان أو عقرب أو من معتد أثيم جاءه فى الليل ليقطع عليه خيمته أو جداره الرقيق فينقض عليه ويستولى على أسرته وعلى ماله، فلم يكن هناك من مأمن أو من حماية فجعل الانسان يستطيع أن ينام مطمئنا فى مرقده، فى ليله ولاحتى فى يستطيع أن ينام مطمئنا فى مرقده، فى ليله ولاحتى فى

وهكذا بات الانسان محصورا فى حياته، فهذه الظلمات التى اجتمعت فى مكان موحش، فى مكان وصف أهله بأنهم أميون جماهلوا اليهودية والنصرانية. فالأمية ليست عدم معرفة القراءة والكتابة ولكنها الأمية الدينية التى لم خفل بدين أو بعقيدة أو رسالة، ولم تأخذ بها وعلى ذلك فان النبى الم على ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين.

هذه هي الحياة وهؤلاء هم القوم وتلك هي الطبيعة القاسية ، وبينها هم في حيرة من أمرهم وفي شدة وفي تخوف وفي حساب الأيام ومع الزمن ، فاذا بشمس الاسلام تشرق وتبدو واضحة بأنوارها ومفاهيمها البسيطة البعيدة عن التعقيد، فكانت كلمة الاسلام كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله. بدأت بكلمة لا لتقول لا للظلم، لا للطغيان، لا للنميمة، لا للسرقة، لا للعدوان، لاءات كثيرة لمشكلات كثيرة، هذا هو طريق الاسلام، طريق الدفاع عن الانسان وابعاده عن مشكلات الأيام وما ألم به من آلام، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخرجه من الظلمات الى النور فوضعه في هذا الطريق في الليل البهيم، في ظلمات من فوق ظلمات وحياة كئيبة، فيخرج عليهم بلفظ الله سبحانه وتعالى سراج منير أضاء بنوره الحياة فتفتحت القلوب، كما تتفتح الورود والأزهار والرياحين حينما تأتى شمس الربيع بالدفء فتزدهر الحياة وتغرد الطيور، سراج منيريسطع في السماء فتتبدد الظلمات ويهتدى الناس الى طريق الله سبحانه وتعالى وقد امتلئوا بالأمل واستمدوا أنوارهم من نور رسولهم الكريم سيدنا محمد ﴿ الله وقد جعله الله سبحانه وتعالى شمسا لا تغيب، فيدعو في الليل وفي النهار وفي السر وفي العلن.

وان وصفنا الرسول ﴿ الله سبحانه وتعالى لا يتأخران دقيقة ولا والقمر آيتان من آيات الله سبحانه وتعالى لا يتأخران دقيقة ولا يتقدمان، انضباط كامل وحسابات ثابتة. وهكذا الرسول ﴿ الله فيه صفة الكمال بأنه هو السراج المنير، فاذا ما اختفى القامر وأصبح هلالا يظل الرسول قامرا من يومه الأول الى وصوله بين يدى الله سبحانه وتعالى، فهو القامر المضاطع النور الذي نهتدى بهدايته فلى طريق الله وفي رحمة الله سبحانه وتعالى.

### وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا

ومن أوفى مهام الرسبول الكرم مهام البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويقول الله سيبحانه وتعالى "وبشر المؤ منيين بأن لهم من الله فضل كبيرا". والمؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله يبشرهم الله بأنه قد أعد لهم أجرا عظيما وحياة دنيوية طيبة ، ومقاما في الجنة ليستعدوا بايمانهم وعفافهم وسترهم وليكونوا بالقرب من ربهم. وتنطلق الكلمات المبشرة لتعيش في عقول المؤمنين، وتسمو القلوب بما حظيت من بركات الرسول الكريم باستعادها وانارتها بنور مقدس من بحر لا تنفد قطراته ، وهذا من فضل الله على هذه القلوب المؤمنة الموحدة. فالبيثسري تسري بين الناس كالنسيم العليل لتكون لكل المتطلعين الى الله سبحانه وتعالى ، وتغشى النفوس فتهب لها الطمأنينة والهدوء وراحة البال والحبة الدائمة للقاء الله في جميع الأحوال وتمسلاً الصدور بالأمل والرجاء في الله سبحانه وتعالى. وليس من المعقول أن تتوقف البشري عند حد كلمات تسترضى الناس لتأخذ بأياديهم وتهدئ من روعهم، فهي لا تغلف بكلمات جوفاء، فالبشرى هى الطريق المستقيم الذى يحقق الخير والسعادة فى حياة الناس الذين يبدل الله خوفهم أمنا وضيقهم سعة وعسرهم يسرا، لأن الاسلام هو البشرى الخقيقية بما له من تأثير طيب فى الجتمع الانسانى، والفرد واحد من هذا الجتمع، ولذا فان البشرى من نواتج الاسلام وهى محصلة العلاقات السليمة بين الفرد والمجتمع وبين الجتمع والفرد.

فجماعة الاسلام هم القوم السعداء الذين لا يشقى بهم جليس، فقد خابوا فى الله وأخلصوا فى عملهم وطهروا قلوبهم من الشر والحقد والحسد، وتلك هى الأعمال الصالحة التى ترضى الله وتسعد الجتمع، وما يحيط بالجتمع من بيئة نظيفة وطبيعة جميلة تتأثر بخلق الله وانعكاسة جماله على الكون، فتشرق الشمس بنور ربها وتتألق النباتات مسبحة لخالقها ويبلغ الطير مأمنه فلا يقتل لهوا ولا لعبا، ويتحتم على كل شئ أن يسبح بحمد ربه، وتلكم هى البشرى التى أصابت الانسان والطير والحيوان والجبال والبحار حتى الحيتان فى أعماق البحار تسبح شاكرة لله على ما أنعم على الكون بنبى مختار كلفه بالاسلام ليصنع السلام بين على الكون بنبى مختار كلفه بالاسلام ليصنع السلام بين

الانسان وأخيه وبين الناس وكل الخلوقات.

وبهذه المعانى انجذب الانسان رويدارويدا نحو جنة أعدها الله لكل من أحبه وعظم مقامه وعمل بكلماته وخرك بنوره واطمأن بحبه. ولذا يجب التوضيح بأن البشرى ليست الأمانى والآمال التي يتشدق بها القوم، ولكنها حقيقة واقعة يستشعرها الانسان المسلم في حياته، فاذا ما ضاقت الدنيا على قوم ترى أن هذا المؤمن لا تضيق به الأحوال، واذا ابتأس الناس فان من سمات البشرى أنها لا تجعل التعاسة والحن تصيب القلوب المؤمنة، ففرج الله قريب من الحسنين.

ف مع البشرى لا يوجد هم أو كرب أو نكد ولكنه صبر وتسليم وعزم وقوة احتمال بما يعبر عن ذلك بالايمان القوى. وذلكم هو الجمع الاسلامي الذي يقوم على القيم الروحية والأسس الاجتماعية السليمة والتي تحقق للانسان سعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة. ولذا يقول الله سبحانه وتعالى "ألا أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين عامنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم" (يونس: ١٢ – ١٤).

والبسسري في الاسلام تشرق على القلوب المؤمنة كها تشرق الشمس على الأرض وتعطيها الدفع والحياة ، وقد أشرقت البشري على الإنسان فمنحته الأمل والسعادة الروحية التي لا تقاس بمال ولا جاه ولا منصب ولا سلطان، تلك هي السعادة الحقة التي جعلت البعض يخرج عن صمته ليقول من خلال ما خقق به من بشرى "نحن في لذة روحية لو علم بها الهلوك لقاتلونا عليها". فالبشري كلمة صدق ألقاها الله سيبحانه وتعالى من خلال كلماته التامات حينما يقول "فبشرناه بغلام دليم" فهي كلمة صدق لا تعنى الاحتمالات أو تتعلق بالآمال. فالبشري حقيقة العمل الصالح المقبول عند الله سبحانه وتعالى وتلك من رسالة الرسول الكريم الذي يدعو الى البشري كما جاء في قوله ﴿ اللَّهُ ﴾ "أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من قال لا اله الا الله صادقا بها دخل الجنة". والبشرى تأكيد وتوكيد وحقيقة لكل القلوب المؤمنة التي والاها الله برحمته وأكدها بكلماته في القرآن الكريم "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". وهكذا استعاد الانسان أمنه وراحة باله، فسعد في الدنيا كما يسعد في الآخرة من خلال كلمات الله في القرآن الكرم.

# ولا تطع الكافرين والمناققين ودع أذاهم

الطاعة هى تطويع النفس الانسانية لتقبل التعديل والتغيير وتصحيح المسار والفهم والتصرف والسلوك، وذلك اذا كان من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى ، ولكنها لا تعنى طاعة الكافرين والمنافقين والمفسدين ومن على شاكلتهم من أهل الظلم، فاذا كان الانسان المؤمن طيعا فانه يقبل التغيير والاعتدال، وتلك نوعية قد لا توجد بين كثير من الناس لاسيما اذا كان الطابع الانسانى قائما على التشدد والتعصب ومرض النفوس فيما يختص بجمود العقل والبعد عن التفكير، وهنا قد لا تجدى النصيحة من أجل الطاعة.

فالطاعة الطبيعية كالحديد المطاوع الذي يمكن تشكيله وصياغته, والطاعة المتشددة كالحديد الصلب الذي قد لا يتشكل كيفما يكون التشكيل, ومن هنا حينما تكون النفس طيعة فانها تستطيع أن تغير من مساوئها الى فضائل ومكرمات. فتستطيع النفس أن تتقدم وترقى, فالمشكلة الأساسية في أي دعوة هي عدم امكانية تطويع النفوس للتلقى والاستماع والتفهم, وتلك عقبة تقف في طريق

الرسل والأنبياء والمصلحين. وقد أوضح القرآن الكرم هذا المعنى في سورة البقرة في قول الله تعالى "إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤ منون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم" (البقرة: ١ - ٧). هؤلاء بينهم القرآن الكرم بأن عليهم غشاوة حالت بينهم وبين الطاعة وامكانية بأن عليهم غشاوة حالت بينهم وبين الطاعة وامكانية التلقى والتصحيح، وهذه الغشاوة نتيجة عدم قرى الأسباب التي تقود الانسان الى المعرفة الجيدة والبعد عن جمود الانسان الفكرى، وهذا من صنع الله الفكرى، وهذا من صنع الله سبحانه وتعالى.

ومن أسس التربية أنه على الانسان أن يتعود الاستماع الجيد، والا فإن امكانية التغيير سوف تكون محدودة أو منعدمة، فمهما جاء من رسول أو نبى ليخاطب الناس على قدر ما يستمعون، فاذا هم يبتعدون عن السمع ويكادون أن يضعوا أصابعهم في آذانهم يتعمدون عدم السمع لعدم التغيير والاستمرار على ما هم عليه، فهذا راجع الى المسلك الانساني المعيب. فاذا كان الانسان قابلا لتطويع نفسه لما يستمع اليه ، ولما يجب عليه أن يفعل فليس بذات معنى أن هذا

الانسان المطيع يطيع كل ما يصدر اليه من كلمات ومعان واقباهات ، وهنا الطاعة لا تكون في موضعها الصحيح فلا طاعة لخلوق في معصية الخالق.

فالانسان في الأصل وفي الأساس عنده امكانية الطاعة ولكن يجب الا تكون هذه الامكانية لتحقيق أطماع ومفاسد المفسدين، لأن هذا الانسان سوف يستمع وسوف يطيع وعليه عدم طاعة الكافرين والمنافقين والمفسدين في الأرض، ولذا فان الله سبحانه وتعالى يبين لنبيه ليحترس من الكافرين والمنافقة، والمنافقين، لأن لهم أهواء مغرضة وألسنة كاذبة وقلوبا منافقة، وعليه أن يكترث وأن يحترس من أمثال هؤلاء الذين يريدون الحياة بوجهة نظرهم وبما اعتادوا عليه حتى يكونوا من أصحاب الذهب والفضة، وأصحاب الجاه و السلطان، وأصحاب البيد العليا، ولو أدى ذلك الى أن يقع الناس قت أياديهم بالمذلة والهوان والظلم الشديد.

فمن أجل ذلك يتصدى الرسول ﴿ الله ولا يطيع من أغفل الله قلبه، ولا هذا الكافر الذي يود أن تبقى الحياة الظالمة على ما هي عليه، ولا ذلك المنافق الذي يظهر بخلاف ما يبطن. وهذا من نوعية التوجه الالهي لتحريض

الرسول ﴿ الله على عدم طاعة الكافرين والمنافقين.

وقد يكون الحديث كما هو واضح موجها أكثر ما يكون لمن هم مع الرسول من أصحابه والذين آمنوا، فلا يأمنوا لخداع الكافرين أو المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ولا ينصب مجمل القول على كل الذين يخالفون دعوة الاسلام من اليهود أو النصاري، وأن الذين عايشوا مهبط الوحى ونزول القرآن يعرفون من هؤلاء الكافرين بأسمائهم وقبائلهم. وبهذا المفهوم لم يعرف المسلمون الطريق نحو ايذاء الذين المفهم في أمر الدين، بل يؤمنون بحرية الانسان في عقيدته كقول الله تعالى "وقل الدق من ربكم في عقيدته كقول الله تعالى "وقل الدق من ربكم في شاء فليكفر" (الكهف: ٢٩).

فاذا كان الأمر مـوجها للرسول ﴿ الله فانه موجه حـقيقة لأتباعـه الذين يجب أن يحتـرسوا من أمثـال هؤلاء الذين يريدون الاضـرار بأمـر الديـن وايذاء الناس والقـضـاء علـى آمـالهم وأحلامـهم في حيـاة طيبـة هادئة هانئة أرادهـا الله سبحانه وتعـالى أن تـكون على هذه الأرض، وأرادوا هم أن تكون الحـياة هانئـة لهم كقلة منحـرفة من الـناس بينما يبـقى الناس قت أقدامهم.

وهذا فكر أصحاب الجاه والسلطان والقوة، عايشوه من خلال ما حولهم من قسوة الطبيعة التى تشهد القمم العالية من الجبال والرمال المترامية تحت أقدام الرجال، فهم يجدون أنفسهم قصما على هذه الأرض بينما كل الناس كأمثلة الرمال المترامية التي تثيرها الرياح وتلقى بها من مكان الى مكان، بينما تظل الجبال أوتادا راسية على هذه الأرض. فهم يريدون أن يستمروا فوق رءوس الناس وفوق أحلامهم وآمالهم في الحياة، وجاء الدين ليغير من هذه المفاهيم ويعطى لكل انسان حقه في الانسانية وفي الكرامة وفي الحرية وللساواة والحياة الكرمة.

ان على الانسان المؤمن أن يحترس من تطويع نفسه لطاعة الشياطين والكافرين، وهذا من مهام الدعوة الى الله سبحانه وتعالى، ومن فضل الله سبحانه وتعالى ألا يجعل للشياطين على المؤمنين سلطانا. فالمؤمن لن يسلم للشيطان سريعا ولا يكون للشيطان قوة أو سلطان عليه. فقوة الايمان الحقيقية هي التي خدث الطاعة لله وتمنع الطاعة لغير الله سبحانه وتعالى للرسول "ول تطع وتعالى، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى للرسول "ول تطع من أغفلنا قليه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أهره

فرطا " (الكهف: ٢٨).

فالانسان بين طاعة يجب أن يتجه اليها وطاعة أخرى يجب أن يحترس منها ويبتعد عنها. ويضاف الى هذا التأسيس الايماني، أن على الانسان المؤمن أن يتحمل أذى هؤلاء ولا يجعل من الأذى وسيلة للابتعاد عن الطريق المستقيم أو الايمان أو الاحتماء بالاسلام، فعليه أن يتحمل أذى الكافرين وأذى المنافقين، وهذا التحمل هو الصبر بعينه، أن يصطبر وأن ينتظر ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يحب الصابرين فيمده بالقوة وبالعون، وأن هؤلاء الكافرين والمنافقين لن يؤثروا على قوة ايمانه وعقيدته، ولذلك فان الرسول هي يقول " الهو من القوس ذير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل ذير ".

فقوة الايمان تدعو للصبر وقمل الأذى من أجل المبدأ أو القضية التى يومن بها الانسان من خلال التصميم والعزم ومواجهة أعداء الدعوة من الكافرين والمنافقين وغيرهم من الشياطين، وبالتالى فعلى الانسان ألا ينحرف أو يبتعد عن مساره لجرد أزمة أو عقبة طارئة في طريقه المرسوم، طريق النور والاستقامة والأمل والقرب من الله سبحانه وتعالى.

فعلى الانسان أن يمرر هذا الأذى ولا يقف عنده مستراجعا أو متخاذلا، فبصبره يستطيع أن يواصل مسيرته وأن يسلك سبيل ربه وأن يمضى بايمانه من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يوضحه القرآن الكريم فى قول الله تعالى "ولا تطع الكافرين والهنافقين ودع أذاهم".

والصبر هو جوهر هذا الانجاه ، فيتسلح المؤمن بالصبر وهو قوة الارادة والتحمل والاستمرار وعدم اليأس والضعف والهوان، هذا كله ينافي قيم الصبر في الانسان المؤمن . والله سبحانه وتعالى يؤكد على الصبرعند المواقف الصعبة والشديدة ، معنى قوة التحمل وقوة الارادة. فالانسان يستطيع أن يحمل شيئا ما على ظهره ويمضى به دون أن يشعر بالتعب أو الارهاق. فاذا استطاع الانسان أن يصحب همته في حمل الأثقال فانه يستطيع وهو مار في حياته أن يتحمل بعضا من الأذى وبعضا من المشكلات وينجو منها، وكل الأمور بعد ذلك تبدو واضحة. وعلى الانسان أن يتعود حمل المشاق والعقبات والتعامل معها بنوع من الصبر الذي يؤكد أن الانسان سيمضى في طريقه وأن العقبات ستتلاشي وأن الأمور ستتضح وأن الايمان أقوى من كل شدة ومن كل عقبة. ويتعلم الانسان درسا جديدا في الحياة بالتحمل بما أورده الله سبحانه وتعالى في القرآن الكرم " ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ".

#### وتوكل على الله وكفي بالله وكيلا

كما أن لكل انسان أبا وأما كانا سببا فى حمايته ورعايته فى طفولته وصباه، وحينها يشتد عوده وينضج عقله يهتدى الى خالق السموات والأرض ويتعمق فى ايمانه حتى يصل الى الدرجة القريبة من الله، وتلك كفاية ما بعدها كفاية ، والمؤمن الذى يفتقد الأم والأب له رب يرجع اليه، والله يمده بطمأنينة النفس والرضا فى كل الأجوال . وما دام الله هو الوكيل فالعبد هو المتوكل على الله فى كل شئون حياته ، فى يسره وفى عسره ، فى رخائه وشدته ، وحسبه الله كما جاء فى قوله تعالى "حسبنا الله ونعم الوكيل" (آل عمران : ١٧٣) ومن هنا كان التوكل على الله سبحانه وتعالى .

والتوكل على الله له شهان: التوكل الخاص، والتوكل العام. التوكل على الله له أصحابه من خواص المؤمنين كالرسل والأنبياء وأولياء الله الصالحين. ومن أمثلة التوكل الخاص ما جاء عن سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما أمره الله سبحانه وتعالى أن يذبح ابنه أو يهجر زوجه ويتركها وابنها الرضيع في الصحراء بلا ماء ولا طعام، أو يأمره بتحطيم الأصنام المثلة

للقوة والحكم، ومع ذلك فان التوكل على الله سبحانه وتعالى لا يقاس فى هذا الاقباه بالعقل، فالمؤمن الذى وصل الى هذه المرتبة من خلال المتحقق الكامل من الله سبحانه وتعالى، سيمضى بما أمره الله بغض النظر ان كانت الأوامر الالهية فى نطاق تعقله أم خارجه. وهذا توكل تصحبه التجربة والفاعلية والتكرار والتعود، وتلك هى الحقيقة التي تبتعد عن الضلال والخداع والكذب وسوء المتقدير، فالتوكل الخاص الضحاب القلوب الواعية والنفوس المطمئنة والمتمسكة بحبل الله النورانى، وقد اعتصمت بالله سبحانه وتعالى فأطاعته دون تشكك أو تردد أو تأجيل.

أما التوكل العام فهو توكل يستحضر عقل الانسان ولا يخرج عن اطار التفكير واستخدام المنطق والفكر والعقل فى احداث التوكل على الله. ويقول الله سبحانه وتعالى "فإذا عزمت فتوكل على الله "(آل عمران: ١٥٩)، ومعنى ذلك أن الانسان يجب أن يكون من أهل العزم فيما يراه فى أموره فيفكر ويدبر ويستشير. وكل هذا فى اطار التوكل على الله سبحانه وتعالى. ومتى فكر الانسان واستشار وفحص أمره جيدا وقام بكل ما يمكن أن يقوم به من تصرفات عاقلة أو خطوات واضحة

فى عمل من الأعمال، فعليه أن يستمر فى عمله الذى فكر فيه والذى عمل من أجله والذى استشار ،ولا ينظر الى الخلف ليتردد ويتراجع عما اعترمه فى أمره أو فى فكره أو فى حياته. فالتوكل هنا يعنى عدم التردد .

وهكذا يوضح الله سبحانه وتعالى نوعين من التوكيل عليه . توكيل خياص للرسل والأنبياء ومن على شاكلتهم من أولياء الله الصالحين والأمثل فالأمثل ، وتوكل عام يعيش مع الناس في حياتهم وفي أفكارهم . فيلا يجوز للمؤمن أن يكون مترددا أو متشككا ولا يحزم أمره ، فهذا من مصادر الضعف التي تعيب الانسان ، فلا يستطيع أن يأخذ قرارا ولا يستطيع أن يتخذ خطوات جادة حاسمة . وكيل الأمور المترددة لا قيمة لها ، عذا هو الضعف والهوان الذي يأتي للانسان الذي لم يأخذ حقه في التربية القرآن الكريم "وتوكل على الله وكفى بالله وكيل" .

الا يكفى المؤمن القوى المتحقق من ايمانه أن يكون الله وكيله فى كل أمر من الأمور وفى كل فعل من الأفعال. الا يعتقد المؤمن الصادق القوى أن كفاية الله وحمايته أقوى من كفاية غير الله وحماية غير الله وحماية غيرة. الله سبحانه وتعالى هو الكاف

الحافظ الذى يحفظ الانسان بحفظه ورعايته. وعلى هذا فليتقدم المؤمن في طريقه وهو يعلم أن الله هو الحافظ وهو الكاف وهو بيده كل الأمور وأنه في نطاق مظلة الحماية الالهية من خلال نعم الله وأفضاله في الكفاية والذود عن المؤمنين ودفاع الله سبحانه وتعالى عن الذين آمنوا. وهذا هو معنى "وكفى بالله وكيل". فلا تعتقد أن الحماية عند أحد من العباد، ولكن يجب أن تعتقد أن الحماية هي حماية الله سبحانه وتعالى وكفايته وحفظه ورحمته وبركاته. وهكذا يكون السلوك الايماني القائم على القلب والعقل لكل من أراد يسير في طريق الله ومن أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى.

#### هبات الله لرسوله

بالرغم بما كان عليه الرسول الكريم من فقر في حياته ومشاكل من هؤلاء الذين كانوا يتعرضون له بما كانوا يمتلكون من ثروة وجاه. فان الله سبحانه وتعالى أراد أن يطمئنه ويجعله قرير العين بما أعطاه كما جاء في قوله تعالى "ولسوف يعطيك ربك فترضي" (الضحي: ٥). ولقد أعطاه الله سبحانه وتعالى مالم يعطه لأحد من قبل ، أعطاه هبتين: الأولى: ملكوت السموات والأرض " ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرءان العظيم" (الحجر: ٨٧) ، والثانية : الكوثر "إنا أعطيناك الكوثر").

# أولا: ملكوت السموات والأرض

ان الله سبحانه وتعالى أطلع رسوله الكريم على السموات العلا بما فيهن من الملائكة والجنات، وذلك من خلال عروجه الى السماء وقد انكشفت له الحجب فرأى من آيات ربه الكبرى. كما اعتادت روحه أن تسبح وترتقى في سماء الحقيقة

وتبيت عند ربها فى عروج دائم بالليل أو بالنهار كما كان الحال فى حادثة الاسراء والمعراج. كذلك آتاه الله سبحانه وتعالى ملك الأرض فتعرف على أسرارها والتقى مع كائناتها ونجا من شر إغوائها.

وان كان للسماء سبع طبقات علوية فللأرض سبع أراض سفلية. وليست الأرض مثل السماء . ففى السماء ترتقى الأرواح وفى الأرض تغوص النفوس فى الشهوات والملذات وتلتقى مع سكان هذه الأرض بما حوت من انس وجان ، منهم المؤمنون وغير المؤمنين. كما أن للأرض طبائع كثيرة تؤثر على الكيان الانسانى، كالطبيعة النارية والهوائية والمائية والطينية والبركانية والزلزالية والطوفانية.

المثانى والقرآن العظيم. وهى ملكوت السموات والأرض وأسرار القرآن القائمة على كلمات الله "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بهثله مددا " (الكهف: ١٠٩).

فالقرآن يتحدث عن ملكوت السموات والارض ، سبع سموات وسبع أراض ، وسيدنا ابراهيم عليه السلام أطلعه الله على سبع سموات "وكذلك نرس ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين" (الأنعام: ٧٥). وخدثنا بمناسبة الاسراء والمعراج أن السرسول ﴿ عَلِيلُهُ ﴾ لم يكن على نفس المرتبة التي كان عليها سيدنا ابراهيم ، بل تخطاها . لأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه في ليلة الاسراء والمعراج أن يعرج الى السموات ، سماء فسماء ، فيرى السموات ويتعرف على ملائكة كل سماء . فبينما رأى سيدنا ابراهيم هذا الملكوت من خلال الثبات، فإن الرسول الكرم رآه من خلال الحركة . أي أنه خرك بروحه فتعرف على ملائكة السماء الأولى. فملائكة السماء الأولى هم ملائكة الغوث الذين يتولون فك الكرب عن المكروبين. فالانسان حينما يصاب بمكروه أو أذى فان أقرب الملائكة اليه هم ملائكة السماء الأولى. وملائكة السـماء الأولى يختلفون من حيث خواصهم عن ملائكة السـماء الثانية ، وكذلك عن السـماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة و السابعة. (هذه الأحاديث حقائق روحية عاشت في التطلعات الروحية لأولياء الله الصالحين ، وتلك هي بحور العلم الزاخر بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . وقد أفاض سـيـدي على السـماك في هذه الأبحر الروحية والتطلعات السـماوية بما يقرب الصـورة الايمانية للراغبين في ايمان بلا ريب "الم ، ذلك الكتاب لل ربب فيه " (البقرة : ١ ، ١).

فحينها يتعبد الرسول في الغار، تسبح الكائنات مع تسبيح الرسول في الغار، تسبح عليه الكائنات مع تسبيح الرسول في وتتنزل الملائكة عليه ، ويستطيع بكل يسر وسهولة أن يتعرف عليهم ويعرف من أي سماء هم . فلم يقف الرسول في عند درجة الايمان بملائكة السموات ولكنه كان خبيرا بهم ، وكما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم "الذي خلق السموات والأرض سبحانه وتعالى في القرآن الكريم "الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا" (الفرقان: ٥٩) . فالرسول في العلم وفي المعرفة. فيجب أن نؤمن ايمانا كاملا بالملائكة ، ومن يرتاب في ايمانه بالملائكة فان ايمانه يكون ناقصا. وكما قال

الشاعر الصوفى: توضأ بماء الغيب ان كنت ذا علم . . . أو تيمم بالصعيد الصخرى. فالآية القرآنية تقول " آمن الرسول بها أنزل اليم من ربه والمؤمنون كل آمن بالله و ملائكت وكتبه ورسله " (البقرة: ٢٨٥).

فالإيمان بالملائكة يجب أن يكون حقيقيا بالرغم من أن البعض لم يرهم ولم يجالسهم ولم يشم رائحتهم الزكية ولم يستشعر بهم فى قلبه . حينما يكون فى حاجة ماسة الى الطمأنينة ، النفس المطمئنة الهادئة ، القلب الذى فى حاجة ماسة الى رحمة الله سبحانه وتعالى ، فان الملائكة تتنزل على هذه القلوب لتمسح عنها الشقاء , تمسح عنها الخوف وكل ما تعانيه النفس من قلق وما يؤرق الناس فى حيانهم . وهذه من الوظائف الأساسية للملائكة ، ويقول الله سبحانه وتعالى " إن الذين قالها ربنا الله ثم استقام الجنة تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافها ولا نحزنها وأبشرها بالجنة تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافها ولا نحزنها وأبشرها بالجنة التى كنتم توعدون " (فصلت : ٣٠)

فالله سبحانه وتعالى يقول للرسول ﴿ الله الله علاء قد ملكوا الكثير من الأغنام والماشية، وأنت فقير ولكنك أعطيت ملكوت السموات والأرض، فمن يكون أكثر ثروة وغنى، أهذا

الذى يملك الذهب والفضة والخيل والبغال والحمير والماعز والنخيل وكل ما كان فى حوزة الأثرياء، أم أنت الذى أعطاك الله سبحانه وتعالى حق المرور واللجوء الى ملكوته. فالى أين المفر؟ الى الله سبحانه وتعالى فى ملكوته.

ولذلك حينها يصاب الانسان بالضيق أو الشهدة يقول فى قلبه " إنى ذاهب إلى ربى سيهدين" . أين النهاب؟ الى الله سبحانه وتعالى . فحين يريد الانسان أن يغير من واقعه الى واقع آخر ، ومن حياة الى حياة ، فليس له الا الله سبحانه وتعالى.

فالرسول ﴿ الله وجعل أخلاقه هي أخلاق القرآن الكريم منذ طفولته. فلم يعرف عنه ﴿ الله عبث في شبابه كما يعبث الشباب، ولم تؤخذ عليه أية مؤاخذة يمكن أن يتحدث عنها الناس، فقد صانه الله وحفظه في طفولته وفي صباه وفي شبابه. بل ان الناس عرفوا عنه أنه الصادق الأمين بشهادة الخصوم والناس جميعا. لأنهم علموا أنه صادق الوعد الأمين.

فهـذه الأخـلاق وهـذه المحتلكات الروحية كـان لهـا أثـر كبير عنـد الرسـول ﴿ الله حيـنما أرادوا أن يسـاوموه يوما وقالوا له ان أردت ملكا ملكناك ، وان اردت مالا أعطيناك على أن تترك هذا الأمر . واذا كان لابد من هذا الأمر فاجعل لنا يوما لأننا نحن الأغنياء وللفقراء يوما آخر ولكن الرسول للم يكن ينظر الى الدعوة بمثل هذه المقاييس التى اصطلحوا عليها ، بل كان دائما ينظر بميزان الحق ورؤية الوضوح ومعه الهامات الله سبحانه وتعالى ووحيه على قلبه فلم يضل ولم يشق.

#### ثانيا: انا اعطيناك الكوثر

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم بأنه قد منحه الكوثر. والكوثر نهر في الجنة. وكلمة النهر بخذب الأسماع وخاصة لهؤلاء الذين يعيشون في الصحراء. فأمل سكان الصحراء هو العثور على بئر ماء، لكن الله سبحانه وتعالى يعطى الرسول ﴿ وَلَيْكُ ﴾ نهرا ليس في الأرض ولكنه في الجنة، وتلك هبة روحية تفوق كل الهبات المادية. فمن أجل ذلك يبتهل الرسول ﴿ وَلَيْكُ ﴾ الى الله سبحانه وتعالى ويتضرع اليه بالصلاة والشكر على النعم، وذلك تأكيد على أن نعمة

العطاء قد تأكدت ملكيتها للرسول الكرم. وعليه أن يبتهج ويسعد ويفرح وينحر الذبائح ويطعم الطعام باعلان عطاء الله بما جاء في القرآن الكرم، وأن من يعمل على اهانة الرسول هيئة أو التقليل من شأنه فان الله سبحانه وتعالى يقطع دابر الكافرين الذين اعتادوا ان يعيروه بفقره وشدة حاجته، فيقول له الله سبحانه وتعالى "ان شانئك هو الأبتر" كل من يشين أو يعيب الرسول هيئة فهو المقطوع والمبتور من رحمة الله وحفظه وأمنه وسلامه.

### التوجه الاجتماعي للرسول

ويتفاعل وحى السماء مع قلب الرسول الكريم سيدنا محمد ﴿ وَاللَّهِ وَاللَّهِ عَلَى أَرْضَ الرسالة ومجتمع ذاق الكثير من الظلم والهوان والعذاب ما أنزل الله به من سلطان ولا يتحمله البشر من حوله ، وهو يسلك طريقا مستقيما يخرج من قلبه الى امتداد السماء ، وملائكة أطهار يتنزلون عند كل انبعال ، وقلب الرسول ﴿ وَاللَّهِ لَا يَهِ دَأُ وَلا ينسى ، بل هو دائم الحركة والذكر ، وفيه أمل كبير لتخطى العقبات والمشكلات التي قجابه الناس في حياتهم.

فالرسول ﴿ الله عان من نفس الناس الذين كانوا يعانون فى حياتهم من الفقر والظلم والحرمان ، نعم كان من نفس هؤلاء الناس كما جاء فى قول الله تعالى "لقد جاءكم رسول من الفقسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالهؤ منين وعوف رحيم " (التوبة : ١٢٨)، وأن الرسول ﴿ الله عليه أن يعز عليه أن يرى قومه وقد وقعوا قت طائلة المعاناة ، وأنه رأى أن الشعور بالظلم وحده لا يكفى وأن عليه أن يتحرك ليغير من هذا الواقع الأليم ، ويدعو الناس بفكره والهام ربه ووحيه على قلبه

إلى ضرورة تصحيح الأوضاع الاجتماعية وازالة الخلل الذي يصيب المجتمع ويضر بالناس.

ولذلك حرص الرسول ﴿ الله كل الحرص على استمرار رسالته الغراء كما جاء في قول الله تعالى "عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤ منين رءوف رحيم". فلم يكن الرسول ﴿ عَلِيُّهُ ﴾ يفصل بين عالمه الروحي وعالمه الدنيوي، بل كان يرى أن العلاقة وطيدة بين معاش الناس في الأرض وبين عبادتهم لله, فرأى أن الحرية يجب أن تكون مكفولة لكل الناس، مؤمنين وغير مؤمنين . فكان يعلن بين الناس أن الناس سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربي ولا أعجمي الا بالتقوى، وقد أنزل الله عليه قوله تعالى " باأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم ذبير" (الحجرات: ١٣) ، كـما أيده بقوله تعالى في القرآن الكريم "وقل الدق من ربكم فمن شاء فليؤ من و من شاء فليكفر" (الكهف: ٢٩).

وكان برنامج الرسول ﴿ الله في توجهاته ودعوته يدعو الى خقيق العدالة الاجتماعية بما يتفق والأوضاع الاجتماعية السائدة ، فكان الناس في عصره يحظى بعضهم بالثروة

الطائلة بينما يعاني أغلبية الناس من الفقر المدقع والجوع والحرمان. وتنزلت آيات القرآن الكري مستحدثة عن المعاناة وكيف يكون الحل في هذا الاجّاه ، فيقول الله سبحانه وتعالى "أرأيت الذي بكذب بالدبين" (الماعون: ١). وهذا استهلال قرآني واضح ومثير في نفس الوقت لكي يردد الانسان في داخله، من ذا الذي يكذب بالدين ، فيرد القرآن ويقول "فذلك الذي بدع البنيم ول يحض على طعام الهسكين" (الماعدون: ١، ٣). وتوالت آيات القرآن في تنزلها على قريش وعلى أهل مكة لتقول لهم " لايلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف" (قريش: ١ - ٤). انها دعوة للألفة والحبية واللقاع والاجتماع وانهاء المعاناة لتومن طريق الحياة في الاقامة وفي السفر وفي التحرك من خلال رحلات الشتاء ورحلات الصيف. فكل الطرق مامونة باذن الله طالما خقق الأمل وآمن الانسان. وكل المجتمع كان في حاجة ملحة الى سلام حقيقي ينشر جناحيه على بقعة اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مهدا للرسالة الحمدية. ومستساعيره لتسؤكيد على ضرورة الحل من خيلال التلقائية الانسانية والمبادرة الخيرة التي تكمن في أنفس الناس، فياتت الحلول الاجتماعية على أنها عقائد ايمانية، وهيأ الاسلام الطريق نحو التكافل الاجتماعي، وانهمرت آيات القرآن من السماء لتؤكد على هذا الطريق المستقيم بترغيب المؤمنين بضرورة الانفاق في سبيل الله وضرورة العمل بفريضة الزكاة حتى أنه لم تعد آية تدعو الى إقام الصلاة الا وارتبطت بفريضة الزكاة ، واعتاد الناس اذا ما سمعوا قول الله الذي يدعو الي "إقام الصلاة" الا وارتبطت افئدتهم بقول الله "وإبتاء الزكاة" كـما جـاء في قوله تعـالي "الذين إن مكناهم في الأرض أقيامها الصيلاة وءاتوا الزكياة وأميروا بالمعيروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور" (الحج: ٤١).

وقد خاطبت آيات القرآن كل المفاهيم الختلفة والمتنوعة بضرورة الانفاق في سبيل الله, وحينما نستعرض آية من آيات القرآن المرغبة في الانفاق فقد بينت من خلال كلماتها ضرورة الانفاق بالمال بل وبكل أنواع الانفاق بقول الله تعالى "مثل الذين بنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع

سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله والله عليم" (البقرة: ٢٦١).

كما ألقت الآيات القرآنية الضوء على ملكية المال وغيره وبضرورة الاعتقاد أن المال والمتلكات ترجع الى ملكية الله سبحانه وتعالى . فجاء في قبوله تعالى "وءانوهم من مال الله الذي ءاتاكم" (النور ٣٣٠)، وبهذا الحس الخفي تملك الانسان الشعور بضرورة العطاء والانفاق عن طيب خاطر، وهذا من أسمى المعانى الانسانية ليكون الأخذ والعطاء ركنا أصيلا من أركان الاسلام يدفع الناس الى قمة الاحسان ، وإن القوانين الوضعية لا شأن لها بالاحسان أو العطاء، وهذا ما يميز الحل الاسلامى القائم على تقوى القلوب والتمسك بقواعد الدعوة وأخلاقياتها السامية . فلن يصح الانفاق ولن يصح الحل الا اذا صحت القلوب وعملت بما آمنت ، والا فان القوانين الوضعية تكون هي الأولى وخاصة في الجهتمعات غير المتدينة. وذلك من خلال فرض الضرائب بكل أنواعها.

وكان للمشاكل الاجتماعية البارزة أثر كبير فى تنزل الآيات القرآنية على قلب الرسول الكريم مثل وأد البنات خشية العار "وإذا الهوءودة سئلت بأى ذنب قتلت" (التكوير: ٨ - ٩) ، وقتل

الأولاد خشية الفقر "ولا تقتلوا أوللدكم خشية إمللق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا" (الاسراء: ٣١)، وخرير العبيد "وها أدراك ها العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذي هسبغة" (البلد: ١١ – ١٤)، والربا "يأيها الذين عامنوا اتقــوا الله وذروا هــا بقي هن الربا إن كنتم هؤ هنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أهـوالكم لا تظلمون ولا تظلمون" (البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩)، ولعب الميسر وشرب الخمر "يسئلونك عن الخمر والهيسر قل فيهما إثم كبير وهنافع للناس ، واثمهما أكبر هن نفعهما" (البقرة: ٢١٩)، وغـيرها من قضايا اجتماعية.

ورغم وضوح المعنى وسمو الدعوة الا أن أصحاب النفوس المنطوية على الشروالأذى والمبتعدة فى نفس الوقت عن الانسانية راحوا يلوحون بين الناس بقولهم وما شأن الدين وانفاق الأموال، وامتنعوا جهرا عن ايتاء الزكاة والجهر بالمعصية يختلف عن اخفائها ، وغيرهم من أغنياء القوم طالبوا الرسول ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاجِعَالُ لللَّهُ وَاجِعَالُ اللَّهُ وَاجِعَالُ اللَّهُ النَّاسِ ، وقد واجه يوما آخر ، فه ولاء يعارضون المساواة بين الناس ، وقد واجه

الرسول ﴿ الكثير من هذه الأمثلة حتى أنهم قرروا أن يدلوا بأموالهم اليه ليتراجع عن موقفه ، ولكن الرسول ﴿ الله المعلى المعلى

ولا نستطيع أن نمر عبر مجتمع الدعوة الاسلامية دون أن نذكر موقف الاسلام من المرأة ، فكان علينا أن نتوقف عند هذا المكان لنلتقط أنفاسنا قليلا بعد مرور عابر وسريع حول القضايا الاجتماعية الميزةلواجهة العصر الجاهلي الذي كان يفرض سلطانه على الانسان ، بل وعلى الحياة بأكملها ، وقد حظيت المرأة باهتمام بالغ اوصلها الى أن تكون شقيقة الرجل في الحياة والكفاح وحمل المسئولية ، ولقد أفصح الرسول عن ذلك بقوله "انها النساء شقائق الرجال" (أخرجه الامام أحمد وأبو داودوالترمذي والدار قطني عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الامام البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه) . وضع الضوابط الاجتماعية فيما يختص بحق المرأة في الزواج والطلاق والميراث حتى في حملها جعل لجنينها حقا في الميراث ، بالرغم من أن قدمه لم تطأ الأرض ، ولقد تضامنت المرأة مع الدعوة الاسلامية من الوهلة الأولى، فكانت السيدة خديجة رضي الله عنها تشجع الرسول ﴿ الله بالمضى فى طريق دعوته وتقول له "والله لن يخزيك الله ابدا، فانك نحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الدهر".

وتطوعت المرأة بالجمهاد جنبا إلى جنب مع المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وتبوأت فى ذلك مكانة الرجال فى التحمل والعطاء ونزلت الآية القرآنية التى لا تفرق بين ذكر وأنثى بقول الله تعالى "فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات نجري من نحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن نجري مران : ١٩٥) ، كما يقول تعالى "من الهؤ منين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" (الأحزاب: ١٣٠).

وكلمة رجال تتحدد بمواقع الجهاد ولا تتحدد بالذكورة أو الأنوثة ، والقرآن يخاطب الرجولة في الإنسان ، وأن الخطاب لا يقتصر على الذكور ليحرم الاناث شرف الصدق في الايمان

والعمل والجهاد والعطاء ، ولعل التاريخ الاسلامى يذكر الكثير من النساء اللاتى لمعت أسماؤهن ضمن الشخصيات التاريخية البارزة . فكانت ساحة المعركة مكانا طبيعيا لشاركة المرأة فى الجهاد وقمل تبعاته ومسئولياته ، فهى التى قزن على فقد رجلها وتثأر اذا ما فقدت وليدها ، فهى جانب بارز فى قمل خسائر المعركة ، وركن أساسى لدفع الجنود وتشجيعهم وقريضهم على القتال فى سبيل الله. وبينها كان الجزء الأكبر فى اقدام المؤمنين جميعا على القتال هو موقف الحق الذى يدافع عن شعوب الأرض جميعا، كان الذين يكفرون بالحق فى موقف ضعيف بما زينه لهم الباطل .

وليتنا كنا نتحدث باسهاب عن المواقف الاجتماعية التى كانت هدفا مباشرا لحعوة الاسلام وضرورة تحرير الانسان والمجتمع من براثن الظلم والعدوان وعوامل القهر الاجتماعى الذى عاش فيه الانسان ردحا من الزمن.

# إنما أنا بشر مثلكم

لقد تألقت الرسالة الحمدية من خلال بشرية الرسول (عيقة الرسل بخلاف ما كان يعتقد البعض خاصة هؤلاء الذين ألهوا أنبياءهم كما فعل البعض من البهود والنصارى . وقد أوضح القرآن خطاً ما ارتكبه هؤلاء وذلك فى قول الله تعالى "وقالت البهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم بيضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يشفكون " (التوبة :٣٠) .

ولقد مارس الرسول الكريم بشريته دون أى تصنع أو تكلف، فلم يكن له زى يتميزبه ليضفى عليه هالة من الوقار والتقديس كما فعل ويفعل رجال الدين فى العصور الختلفة ، بل عاش حياته على سجيته وبساطته المتناهية لا يختلف عن الناس فى عموم حياتهم ، يأكل كما يأكلون ، ويتزوج كما يتزوجون ، ويعمل كما يعمل الناس فى عصره بالتجارة أو الرعى . ولقد اعترض عليه جهلاء قومه فيما يباشره من عمل أو من معيشة. وقد بينت آيات القرآن مزاعم هؤلاء الجهلاء فى

قول الله تعالى "وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويهشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا" (الفرقان : ٧ - ٩). ولم يعبأ الرسول (الله عنه عنه كانوا يقولون ، فراح يأكل من خيرات الأرض ويسعى في مناكبها ويعمل ويعرق .

ولم تفارق الرسول ﴿ الطبيعة الانسانية يوما واحدا ، فتراه يحزن كما يحزن الناس ويفرح كما يفرحون . فحينما توفيت زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها حزن عليها كثيرا ، كذلك حينما توفى ابنه ابراهيم دمعت عيناه ، وعندما أراد الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يتروج على السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكرم وبلغه ذلك ﴿ السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكرم وبلغه ذلك ﴿ الله عنب وقال لعلى : "فاطمة بضع منى من أغضبها أغضبنى" . وعلى الجانب الآخر كان يسعد ويفرح حين يرى بعينيه الرحيمتين الحسن والحسين فيقبلهما ، وجاءه اعرابي فقال الرحيمتين الحسن والحسين فيقبلهما ، وجاءه اعرابي فقال أن نزع الله من قلبك الرحمة (رواه البخاري ومسلم) ، كما كان

بردد على أسماع أصحابه قوله "اعدلوا بين أولادكم حتى في القبل". ومن تلك الوقائع ظهر جلبا أن الرسول ﴿ الله لم يتأثر بالعادات والتقاليد الجاهلية التي تدعو الى غلظة القلب وإماتة العواطف، ولم يجد حرجا في مداعبة وملاطفة حفيديه: الحسن والحسين، بل كان يحملهما على كتفيه أثناء خطبة الجمعة ويدعو المسلمين الى عدم التفريط في محبة أحفاده وآل بيته، فكان الرسول ﴿ الله على على حبى معن أحب الدسين "، كما كان يقول "أدبوا أولادكم على حبى وحب آل بيتى" وكما كان الرسول ﴿ الله وأحفاده في على حبى فقد كان أيضا يحب أصحابه ويقول "أصحابى كالنجوم فقد كان أيضا يحب أصحابه ويقول "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اله وتديتم"، بل ويتسامح مع أعدائه.

نفسه"، فقال علمر: فأنت الآن أحب الى من نفسى ، فقال رسول الله : الآن يا عمر.

وبالرغم من أن الرسول ﴿ يَلِيه كان في بيئة صحراوية من أفقر أنواع الأرض التي لا تنبت زرعا أو جني محصولا بسبب ندرة المياه ، وبالتالي انتشار الفقراء في الصحراء الذين يرعون الأغنام على العشب القليل ، فان جدب الأرض وفقرها وافتقار سكانها لم يثنه عن الاهتمام بمظهره اللائق ونظافته الدائمة وخضره باستخدام الماء وان استخدام الماء من مؤشرات تقدم الشعوب وخضرها . فماذا لو كان الرسول ﴿ يَلِيه في عصرنا الحديث.

وقد وضح من تمسك الرسول ﴿ الله كان يهتم بحسن مظهره من خلال تنظيف أسنانه بالسواك، وترجيل شعره بالمشط، ومس جسده بالطيب، وتكحيل

عينيه، واستخدام الألوان الزاهية في ملبسه ليؤكد على ظاهر الزينة، وتلك ليست من حقه فقط، ولكن ذلك من حق الجـــتــمع كله، فكان يرى أن اهمال الزينة الظاهرة بخالف شريعته الغراء التي تدعو الى تعقب الجمال في الأرض وفي السهاء، فالجتمع هو الذي يرى وجه الانسان فمن يهمل في وجهه ومظهره كمن يسب مجتمعه، ويحكى أن أمرأة جاءت الى النبي ﴿ عَلِيهِ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ تشكو اليه زوجها وتريد ان تطلق منه، فأرسل الرسول في طلب زوجها، فلما رآه أشعث أغبر قال له اذهب واغتسل ورجل شعيرك، فلمنا عناد الرجيل وقيد تغيير مظهره الى الأحسن نظر الرسول ﴿ عَلَيْكُ ﴾ الى الزوجة وقيال لها هل تريدين أن تطلقي منه الآن، قالت لا يا رسول الله، فقال ﴿ عَلَيْكُ ﴾ "تزينوا لنسائكم كما نُحبون أن نساءكم تتزين لکم".

في قوله تعالى "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه" (الأحزاب: ٣٧). وذلك على سحيل المثال وليس الحصر. فالرسول ﴿ عَلِيلُهُ ﴾ يتمسك بهيئته البشرية كانسان قد يخطئ ويصيب، ولا يتعارض ذلك مع مكارم الأخلاق التي هي من صميم رسالته المصححة لكل الرسالات والمتممة للدين الذي أراده الله سبحانه وتعالى للعالمين. ويتفرد الاسلام بأنه هو الدين القيم والرسالة الخاتمة. وقد بينت العقيدة المحمدية اهتماماتها الواضحة مراعاة الجانب الاجتماعي ما يعود على الناس بالقسط والعدل من أجل سيعادة البيشرية، فحظيت القضايا الاجتماعية باهتمام القرآن كما هو حادث بالنسبة للمواريث، فقد بينت الآيات القرآنية أحكامها مستعينة بالأرقام بل بكسورها، النصف والثلث والسدس والثمن، كما جاء في سورة النساء،وعلى الجانب الآخر لم تتحدث آيات القرآن عن عدد ركعات الصلاة مثل صلاة الصبح والظهر وغيرها، وهذا ما يؤكد حرص العقيدة الاسلامية على مراعاة الحياة الاجتماعية وحقوق الانسان.

فاسلوب الرسول الفكرى والحاتى أسلوب تقدمى وحضارى. ويشهد له الخصوم اعترافا بفضله على الانسانية.

ولقد أدرك الـرسول ( الشهالية الناس وذلك حينه ألا يدنس قلبه بشهوة الكبر والتعالى على الناس وذلك حينها لاحظ أن بعضا من المسلمين يقفون له تعظيما واجلالا كما يفعل مع الملوك والحكام فقال لهم "هونها على أنفسكم فما أنا الا أبن اهرأة كانت تأكل القديد في شعاب هكة". وأراد الرسول ( الشهالية الناك أن يحدث تغييرا جذريا في مجتمعه لاقتلاع العادات والتقاليد الفاسدة وفي نفس الوقت لا يعترض على العادات والتقاليد الناك اعتادت عليها القبائل والملائمة لطبيعة المجتمع البشرى في الجزيرة العربية آنذاك.

فالطبيعة البشرية في مجتمع الصحراء كانت تدعو الي ضرورة تعدد الزوجات، وتلك ضرورة اجتماعية فرضت نفسها على مجتمع يعاني أيضا من إغارة القبائل على بعضها البعض. فالقبيلة التي كانت أكثر عددا تكون أكثر نفوذا وقوة. وقانون الصحراء هو قانون القوة، ومع ذلك فقد تنزلت آيات القرآن لتنظم المجتمع وقدد الزواج حتى لا يزيد على أربع زوجات بالنسبة للزوج مع الترغيب في الاكتفاء بزوجة واحدة ضمانا للعدل الذي يؤدي الى مزيد من الوفاق والحب.

ولذلك فالرسول ﴿ الله في كل نواحيه لم يختلف عن طبيعة الجتمع حوله، فلم يتهرب من مجتمعه بما كان سائدا من الأحوال الشخصية أو الاجتماعية، وكان الرسول ﴿ عَلِيُّكُ ﴾ يشارك الناس أفراحهم، فعن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي ﴿ الله الله عائشة عا كان معكم لهو فان الانصار يعجبهم اللهو (رواه البخاري وأحمد)، وفي رواية " فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني، قالت ماذا تقول يا رسول الله؟ قال تقول أتىناكم أتيناكم، فحيانا وحياكم، ولول الذهب الأحمر، صاحلت بواديكم، ولول الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم". وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﴿ عَلَيْكُ ﴾ قال: أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف (رواه أحمد والترمذي وحسنه)، وعن عامر بن سعد رضي الله عنه قال "دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصاري في عرس واذا جوار يغنبين فقلت أنتما صاحبا رسول الله ﴿ عَلِيهُ ﴾ و من أهل بدر يفعل هذا عندكم، فقال اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت فـاذهب قـد رخص لنا في اللهـو عند العـرس" (رواه النسائي والحاكم وصححه). فالزواج له الأصول والاحترام

والفرحة، وهناك من يعتقد في أيامنا هذه أن هذا خارج عن الاسلام. والأكثر من ذلك فان الرسول ﴿ الله كان يتخذ من مسجده مكانا للالتقاء بكل الناس لبحث أمور المسلمين بل أن الرسول ﴿ الله شاهد في أحد الأيام عرضا للفنون الشعبية الجبشية في ساحة المسجد، وقد ذكر الامام الغزالي في كتاب الإحياء أحاديث غناء الجاربتين ولعب الحبشة في مسجد النبي الإحياء أحاديث غناء الجاربتين ولعب الحبشة في مسجد النبي وقول النبي لهم بقوله " دونكم يا بني أرفدة" وقول النبي لعائشة: تشتهين أن تنظري ووقوفه معها متى أمل هي وتسأم.

فالرسول ﴿ يَسِّمُ فَ الْجَمَاعِيةُ مَرْمُوقَةُ لا تَنفُرُ مَن الْجُمَعِ أَو تَسَهَرُبُ مِنْهُ، وَكَان يُسْعَى الْي خَقَيقَ مَا أَمْرَهُ اللّه به، أَن يعمل بالعرف وما تعارف عليه الناس وعدم التنكر للعرف "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " (الأعراف: منذ العفو وأنين منشوها العرف المتداول بين الناس، فهوالقاعدة القانونية الحقيقية فطالما أنه عرف نافع لا يضر المجتمع فكان الرسول ﴿ يَسِنَّهُ فَي يُسْتَمَرُ فَى العمل به.

وهكذا بينت الدعوة الحمدية ما كان عليه الرسول الكريم من حياة طبيعية تتساير مع مجتمعه ولا تتخلف عنه،

فلم يتشدد فيما كان يدعو اليم، وعاش حياته كانسان له مشاعره الخاصة وطبيعته الانسانية بكل بساطتها ويسرها. وكان الرسول ﴿ وَهُمُ اللَّهُ ﴾ كلما عرض عليه أمران اختار ايسرهما ما لم يكن إثما .

والطبيعة البشرية عند الرسول ﴿ الله عن السالة، روحانيات الدعوة، وكلاهما له الأثر الفعال في أداء الرسالة، وهذا هو التكامل في شخصية الرسول ﴿ الله عن انسانية الدعوة وروحانياتها.

وبذلك أكدت الدعوة المحمدية على أن العمل والحياة الأسرية والتنضحية والجهاد، كل ذلك يؤدى الى رفع الروح المعنوية، وبالتالى ازكاء الجانب الروحى مما يؤكد على تلاقى الجوانب المادية والجوانب الروحية وانسجامهما في اطار واحد هو شريعة الاسلام

" ان الله وملائكته يصلون على النبى، ينايها الذين النبى، عليه وسلموا تسليما " (الأحزاب: ٥٦).

#### الخساتمسة

تراودني الأحلام والأماني بأن يكون لهذه المعاني الروحية مكان في المناهج الدينية التي تعدها وزارة التعليم أو في المعاهد الأزهرية، ليخرج جيل جديد يؤمن بجدية العمل وضرورة الجهاد وامكانية العطاء والمساهمة في نشر الخير والفضيلة والزودعن الأوطان ومواجهة التحديات والتمسك بالعقيدة السمحاء التي تدعو الي تكريم الانسان بغض النظر عن جنســه أو لونه أو عـقـيـدتـه. ولن يتـأتى ذلك الا من خـلال الشفافية الروحية واسلام القلب لله والسير خلف رسول الله وعدم اخضاع الدعوة للتشدد أو التجمد الفكرى وارهاق الناس ما تصف الألسنة، يقولون هذا حلال وهذا حرام، ويقول الله تعالى "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لل يفلحون" (النحل: ١١٦).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع		
-	تقديم / الشيخ عبد الله بكر		
-	تقديم / الشيخ مصطفى عيد		
-	تقديم / الدكتور محمد درغام		
-	مقدمة للمهندس زين السماك		
1	الجزء الأول : الخلافة		
٨	الجزء الثانى : العلوم والأسرار مستودع الأخلاق		
11	الجزء الثالث : من أجل دعوة روحية لحياة أفضل		
11	الجزء الرابع : روحانيات الدعوة		
٣٨	الجزء الخامس: مقامات الرقى الروحي		
٤٥	الجزء السادس: ليلتان في حياة الرسول		
<b>£</b> 1	- ليلة القدر		
29	– ليلة الاسراء والمعراج		
15	الجزء السابع : تكليف الرسول بالدعوة		
17	- يـــــأيها النبـى		
19	– إنا أرسطناك		
٧٢	- نثياهدا		
٧٨	– ومبشرا		
77	– ونذيرا		
M	- وداعيا إلى الله بإذنه		
97	– وسراجا منيرا		
1	- وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا		
1.5	- ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم		
115	- وتوكل على الله وكفي بالله وكيلا		
111	الجزء الثامن : هبات الله لرسوله		
111	· بحرم مصلح . - ملكوت السموات والأرض		
155	- إنا أعطيناك الكوثر - إنا أعطيناك الكوثر		
175	إلجزء التاسع : التوجه الإجتماعي للرسول		
1 7"7"	الجرع العاشر : إنما أنا بشر مثلكم الجزء العاشر : إنما أنا بشر مثلكم		
121	اجرع العامدر ، إلى ال بسر المسام المناب المسام المناف		

## تصحيح الاخطاء المطبعية الواردة في الكتاب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
ذودا	زودا		آخر مقدمة مصطفى عبد
للرؤيا	للرؤية	i	مقدمة المهندس زبن السماك
قريه	قربة	۵	٣
غيبه	غبيذ	10	1.
الروحى	الرحى	۵	١٢
وتعالى	تعالى	٩	1£
يسكن	تسكن	5	۲V
انطفأت	أنطفأت	٨	17
لاختارت	لأختارت	11	۲۸
لاكتشفت	لأكتشفت	10	7.
والشماء	السماء	۱۳	. 771
الله	لله	15	<b>)**}*</b>
وتقلب في المقامات	وتقلب المقامات	10	٤١
كاللآلئ	كالآلئ	٥	٧٠
في الأرض	بالأرض	10	٧٠
بإذنه	بأذنه	العنوان	M
تعملون	تعلمون	٨	۸۹
امتلأوا	امتلئوا	17	٩٨
أمين	الأمين	17	151
تأت	تعد	٨	150
مسغبة	مسبغة	٤	159
السموات العلى	السموات العلا		اينما وجدت

لقاؤنا في الكتاب القادم مع يوسف عليه السلام

